الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

The people's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

المركز الجامعي – صالحي احمد – النعامة University center-salhi Ahmed- Naama

معهد الآداب و اللغات قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

بعنوان :

متخيل العنف في الرواية الجزائرية

نخلة الوجع أنموذجا

لـ : الروائي خيري بلخير

ميدان اللغة و الأدب العربي شعبة الدراسات النقدية تخصص نقد عربي حديث و معاصر

إشــراف الدكتور:

عبد القادر ضيف الله

إعـداد الطالب :

هواري بومدين

لجنة الإشراف و المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
د. فتيحة شويخ	أستاذ محاضر – ب	رئيساً
د. عبد القادر ضيف الله	أستاذ محاضر – أ	مشرفاً ومقررا
د. هشام بكري	أستاذ محاضر - أ	مناقشاً

الموسم الجامعي 2025/2024 م الموافق ل 1445/ 1446 هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : يومديا هواري

الصفة (طالب – أستاذ – باحث)

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 201601675

الصادرة بتاريخ : 2017-06-13

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم : اللغة العربية والأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها :

متخيل العنف في رواية الربيع خلف الوجع أنموذجا .

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 04 جوان 2025

توقيع المعني

إهداء

نهدي ثمرة جهدنا هذا ، إلى الذين ضحوا لأجلنا

شهداء الجزائر في كل الأزمنة

ونرفع عبارات الشكر و التقدير

إلى كل من قدم لنا يد العون و المساعدة

ولو بأمنياته لنا بالتوفيق ونخص بالذكر أستاذنا الفاضل

الدكتور "ضيف الله عبد القادر "

الطالب : هواري بومدين

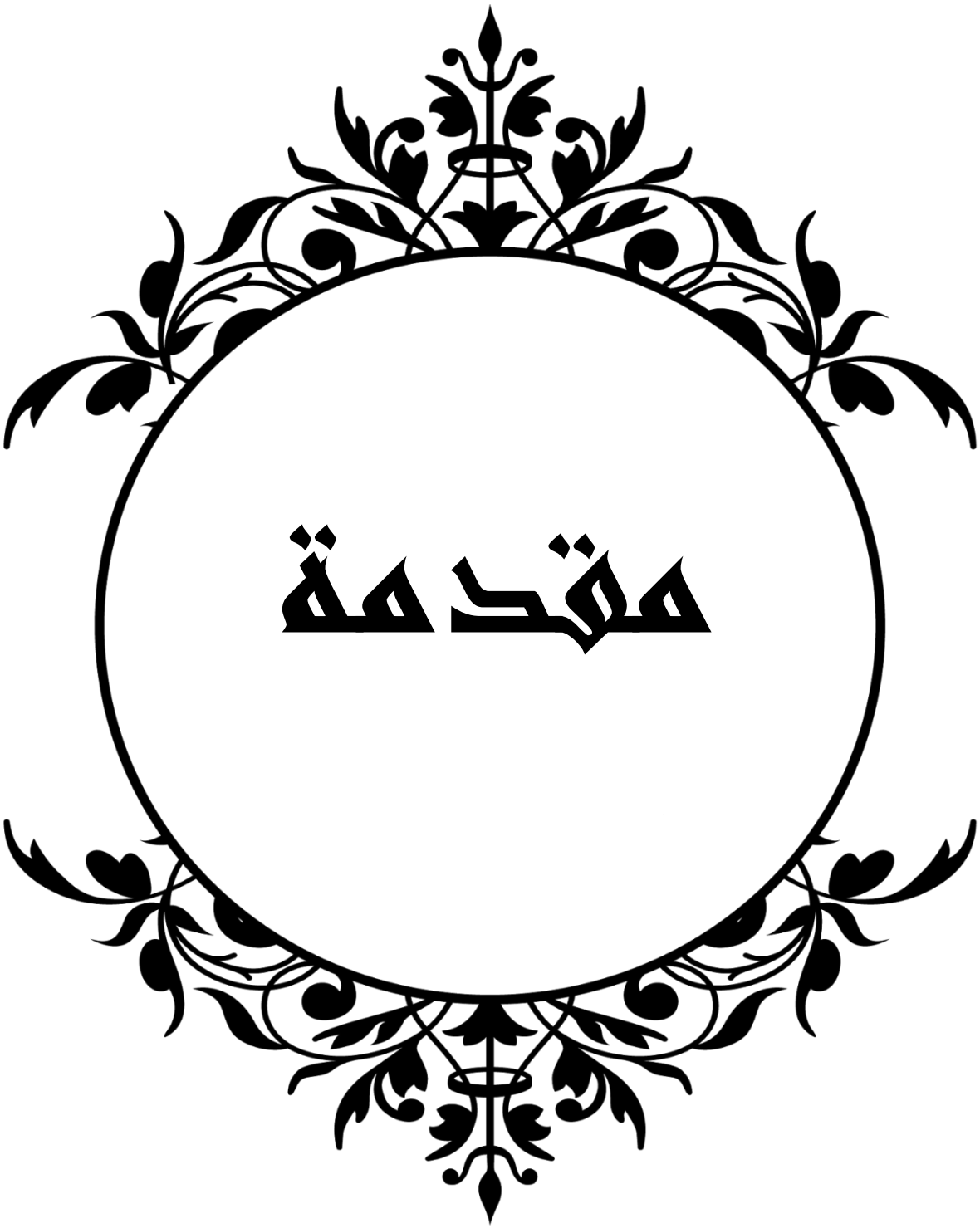
مقدمة

تعد الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي انتشرت انتشارا واسعا في الساحة الأدبية و أكثرها انعكاسا للواقع وتأثيرا على المتلقي ، تنقل الرواية أحداث الواقع تسجيلا وتخييلا و تتجاوزها لتضفي على المتن السردي جمالا و متعة تأسر القارئ و تشده .

ومن هذا المنطلق كان للرواية الجزائرية حظها ، حيث عرفت تغيرات تعددت حسب الفترات التي كان لكل منها مميزاتها الخاصة فواكبتها و تميزت معها . ولعل فترة التسعينات مثلت المنعرج الحاسم في مسار تطور الرواية الجزائرية .

هذا المنعرج كان حاسما في تاريخ الرواية الجزائرية فقد تفجرت قرائح الأدباء وخاضوا في حقول الأشواك و الألغام مثلما خاض فيها المجتمع ، ومكنهم ذلك من تصوير مأساة الشعب ونقل محنته مثلما عاشوها ، فجاءت الرواية مخضبة بالدماء مكسوة بالسواد أحيانا وتحمل بصيصا من الأمل أحيانا أخرى .

و ظاهرة العنف فرضت نفسها كموضوع رئيس على الروائيين ، فتناوله كل حسب مورده وحسب زاوية الرؤيا التي تناسبه ، فطرحت عديد الأسئلة التي استوجبت عديد الإجابات مما فتح المجال أمام تعدد القراءات حول الرواية الجزائرية ، حتى أن تسميتها تعددت ،فأطلق علها رواية الأزمة ورواية العشرية السوداء ورواية المحنة ...وغيرها من التسميات .

وموضوع مذكرتنا هذه ، هو حول رواية تنتمي إلى نفس الفترة و خاضت نفس الدرب كسابقيها إلا أنها لم تنل حظها من الدراسة و التحليل على حسب علمنا .و هذا ما دفعنا إلى اختيار هذه الرواية بالذات لتتبع تجليات المتخيل من خلال متنها السردي ،فوجدنا أنفسنا أمام الإشكالية التالية :

- كيف يتجلى متخيل العنف في الرواية الجزائرية و في رواية نخلة الوجع بالتحديد؟
- و هل استطاع المتخيل السردي أن يتجاوز الواقع ؟
- و ما مدى تأثر المتخيل السردي بالأزمة ؟

و لفك رموز هذه الإشكالية و الإجابة عن هذه التساؤلات ،اتخذنا المنهج الوصفي التحليلي سبيلا في كثير من الأحيان و المنهج السميائي الدلالي في أحيان أخرى. محاولين جهدنا أن نكتشف قدرة المتخيل على نقل أحداث الواقع دون الوقوع في مطبات التسجيل و التوثيق و نأمل أن نكون قد أحطنا الموضوع من مختلف الجوانب الفنية و الجمالية و السردية .

بغية تسهيل الدراسة قدر الإمكان وضعنا خطة متدرجة على النحو التالي :

-**مدخل** بعنوان مفاهيم و مصطلحات .

حاولنا أن نبحث في جذور المصطلحات التالية (المتخيل . العنف و الرواية) على اعتبار أنها مصطلحات مشكلة لموضوع الدراسة اعتمدنا على المعاجم و القواميس اللغوية كابن منظور و المعجم الوسيط.

-**الفصل الأول** : و عنوناه بمتخيل العنف في الرواية الجزائرية وقسمناه إلى أربعة عناصر

-العنصر الأول كان متخيل العنف في الرواية الجزائرية و العنصر الثاني حاولنا أن نبحث كيف تعامل الروائيون الجزائريون مع الأزمة و كان عنوانه الرواية الجزائرية و الأزمة. أما العنصر الثالث و الرابع فقد عكفنا من خلالهما على تتبع صورة العنف في الرواية الجزائرية و كيف جاءت صور الإرهابي في الأعمال الروائية.

-**الفصل الثاني** : تطرقنا فيه إلى متخيل العنف في رواية نخلة الوجع للروائي خيري بلخير وقسمناه بدوره إلى أربعة عناصر. فتتبعنا مدى توظيف المتخيل الديني في الرواية ثم المتخيل و الواقع و المتخيل و الفضاء فالمتخيل و الموضوعات و التي استطاع الكاتب من خلالها أن يسلط الضوء على بعض الإشكاليات التي فجرتها أزمة التسعينات داخل التركيبة الاجتماعية.

و قد اعتمدنا في بحثنا هذا على عدة مراجع أهمها : " آمنة بلعلى في كتابها المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ، محمد معتصم في كتابه المتخيل المختلف وسعاد عبد الله العنيزي في كتابها صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة.

واجهتنا جملة من الصعوبات نذكر منها ضيق الوقت و قلة المراجع لكون الرواية لم تنل حظها من الدراسة و التحليل من ذي قبل.

و في الأخير وقفنا على بعض النقاط التي استخلصناها من دراستنا للرواية أوردناها في الخاتمة.

و تجدر الإشارة إلى أننا اقتصرنا في دراستنا هذه على الرواية المكتوبة بالعربية دون غيرها ، وليس ذاك تهميشا أو تحيزا ، وإنما أردنا أن نركز على نفس الجنس اللغوي الذي كتبت به الرواية موضوع الدراسة ، و الله الموفق .

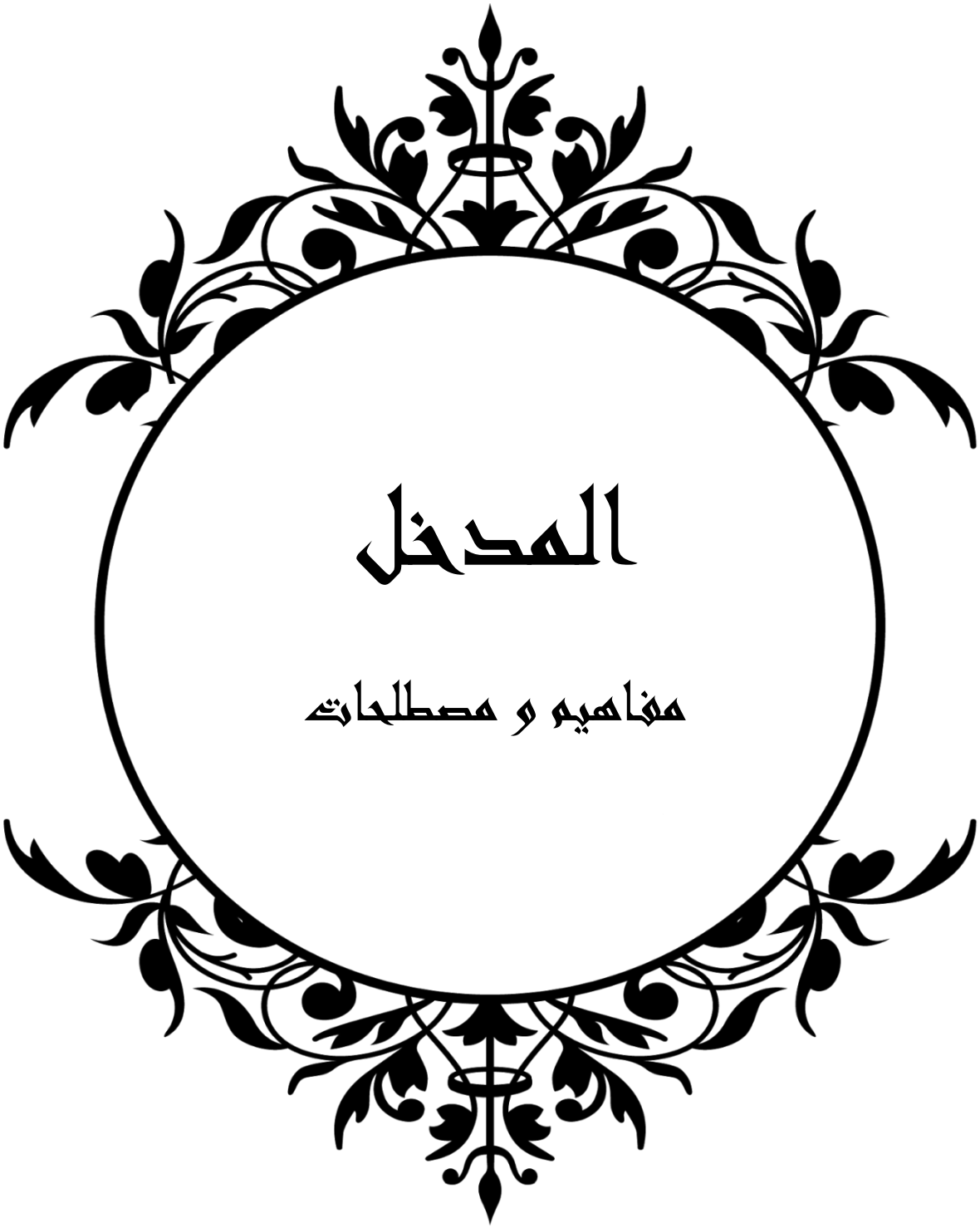

المدخل

مفاهيم و مصطلحات

1 – مفهوم المتخيل : المتخيل هو فضاء مفتوح يسبح فيه العقل بحرية وهو مسرح العقل الذي يمزج فيه صوره الذهنية بين الحقيقة و الخيال.

"المتخيل السردي احد أهم العناصر التي تشكل النص السردي . و خاصة الرواية وتساهم في إثرائها وإغنائها . و إتاحة الفرصة للمبدع لتناول موضوعات جديدة ومختلفة .و الكشف عن أفكاره ورغباته اللاشعورية "[1]

المتخيل في الرواية أو العمل الإبداعي هو العنصر الأساس الذي يميز الأدب عن التسجيل . ويتيح المتخيل للكاتب إنشاء عوالم روائية متكاملة قد تكون مشابهة لعالمنا أو مختلفة عنه جذريا ، ويساعد في خلق الشخصيات ونسج الأحداث كما يسمح للكاتب بتجاوز الواقع المعاش و إعادة تشكيله و تقديمه بشكل جديد .

و بمفهوم آخر يمكن اعتبار المتخيل بمثابة الروح التي تنفخ في جسد العمل الإبداعي وتحوله من مجرد سرد للأحداث إلى تجربة فنية و جمالية .

وفي سياق الأدب و الفن يستخدم مصطلح "المتخيل "للإشارة إلى العوالم والشخصيات والأحداث التي يبدعها الفنان أو الكاتب .من خلال قوة خياله وتصوره وقد تكون هذه العوالم مستوحاة من الواقع لكنها تتجاوزه و تضيف إليه عناصر غير موجودة .

وبشكل عام يدور المفهوم العام للمتخيل حول القدرة الذهنية على تكوين صور و أفكار لا ترتبط بالضرورة بالواقع الحسي المباشر وتقول د.ربوح و د ناهلة "المتخيل السردي مجموعة من العناصر السردية التي من الواضح عدم إسنادها للواقع . ويتحدد من خلال جملة خصائص كسعيه إلى خلق عالم سردي خيالي أو رمزي أو مجازي"[2]

وقد تجيء الكلمة بعدة ملفوظات منها الخيال و التخييل و المتخيل لذا وجب علينا البحث في الجدر المشترك بين هذه المفاهيم.

---

[1] د .ربوح حليمة السعدية ود .ناهلية مسعود المتخيل السردي وآفاق الكتابة الروائية التاريخية بين الواقع و الكتابة مجلة المحترف المجلد 11 العدد 04 ط 2024 ص 274.

[2] المرجع نفسه .ص274

أ – المتخيل لغة :

- خيل : خال الشيء يخال خيلا وخيلة و خيلة وخالا وخيلا وخيلانا و مخالة ومخيلة وخيلولة : ظنه .وفي المثل . ومن يسمع يخل أي يظن وهو من باب ظننت و أخواتها .
- وفي الحديث : ما أخالك سرقت . أي ما أظنك وتقول في مستقبله : إخال بكسر الألف و هو الأفصح..... وشيء مخيل أي مشكل ،وفلان يمضي على مخيل أي على ما شبهت.....
- والسحابة المخيل و المخيلة و المخيلة التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة ....
- قال ابن الأثير : المخيلة موضع الخيل وهو الظن كالمظنة وهي السحابة الخليقة بالمطر .
- واختالت الأرض بالنبات : ازدانت . ووجدت أرضا متخيلة ومتخايلة إذا بلغ منبتها المدى وخرج زهرها .
- و تخيل الشيء له : تشبه . وتخيل له انه كذا أي تشبه و تخايل . و يقال تخيلته فتخيل لي كما تقول تصورته فتصور وتبيننه فتبين . و تحققه فتحقق . و الخيال و الخيالة : ما تشبه لك في اليقظة و الحلم .[1]

ب –اصطلاحا :

المتخيل مفهوم متعدد الأوجه و الاستخدامات في مختلف المجالات المعرفية كما يرتبط المتخيل بالقدرة على استحضار الصور الذهنية أو تمثيلات لأشياء أحداث أو أفكار غير موجودة بالضرورة في الواقع الحسي .

وهو عنصر أساسي في الإبداع الأدبي يوفر للكاتب أو المبدع فضاء آخر يختلف عن الواقع .

بشكل عام يمكن فهم المتخيل على أنه الفضاء الذهني الذي يتم فيه بناء الصور الذهنية غير الواقعية ويمثل القدرة على تجاوز حدود الواقع.

[1]انظر لسان العرب *ابن منظور ج 5 ص192

وقد تطرقت كل من الدكتورة سعاد بولحواش والدكتور الطيب بودربالة في مقالة لهما نشرت في مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات بعنوان *الخيال و المتخيل مقاربة في المفهوم والمصطلح .

"الصورة المتخيلة ليست شرطا أن تتطابق مع الو اقع فقد تختلف عن الوقع إيجابا أوسلبا فالتخييل الشعري عند الفارابي شبيه بالمحاكاة الأرسطية..."[1]

و أورد الدكتور طيب و الدكتورة سعا د آراء كثير من الفلاسفة المسلمين العرب وغيرهم منهم ابن سينا وابن رشد وابن عربي وحازم القرطاجني ويعتبر حازم القرطاجني–ت 684هـ-من أهم النقاد العرب الذين قدموا تصورا واضحا و مفصلا عن مفهوم التخييل من خلال معرفته و قراءته الواسعة لآراء الفلاسفة والبلاغيين و النقاد الذين خاضوا في هذا الموضوع .

حيث يقول .

"إن مصدر التخييل هو الحس أو الإحساس .لأن الصور المتخيلة هي نوع الإنتاج الذهني الذي يكون منطقه الواقع الخارجي أو الإحساس الفعلي بالأشياء ,بيد أن تبعية التخييل للحس لا تعني في تصوره أن الصور الفنية التي يشكلها الخيال الشاعري يجب أن تكون مماثلة لظواهر الواقع العلني ومطابقة لطبيعتها المادية وخصائصها الحركية ,فالتخييل رؤية جمالية للذات والعالم"[2]

من هنا يمكن القول أن التخييل أو المتخيل . ليس مجرد وهم أو خيال فارغ .بل هو أداة معرفية وجمالية و وجدانية تمكن المتلقي من التفاعل العميق مع النص و اكتشاف دلالاته المؤثرة .

[1] د سعاد بولحواش و د طيب بو دربالة، " الخيال والمتخيل مقاربة في المفهوم والمصطلح "،مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات المجلد9 العدد 2 ص 86حيث

[2] المرجع نفسه ص 91

و يعرفه محمد معتصم نقلا عن حسين خمري في كتابه فضاء المتخيل" في البداية نعرف المتخيل عل انه بناء ذهني ، أي انه إنتاج فكري بالدرجة الأولى ، أي ليس إنتاجا ماديا"1

2– مفهوم العنف :

- العنف سلوك أو فعل ينطوي على استخدام متعمد للقوة قولا او فعلا .

- العنف هو كل أذى –مادي أو معنوي – يلحق بالأشخاص أو الممتلكات .

بكذا كلمات يمكننا ان نعرف العنف في الحالات العادية . ولكن عندما نعود ونرى حجم الأعمال الأدبية وبخاصة الروائية التي كتبها الروائيون الجزائريون ندرك أن هناك مفاهيم وأشكال أخرى للعنف . فعلى سبيل المثال لا الحسر .

* فوضى الحواس* لأحلام مستغانمي * متاهات ليل الفتنة * لحميدة العياشي *بخور السراب و المراسيم و الجنائز * لبشير مفتي *الورم * و الرمال المتحركة ** لمحمد ساري *شرفات الكلام* لمحمد بو كرزازة سادة المصير لسفيان زدادقة وغيرها الكثير ...

أ – العنف لغة :

العنف :الخرق بالأمر وقلة الرفق به. وهو ضد الرفق .عنف به وعليه يعنف عنفا و عنافة و أعنفه و عنف تعنيفا . وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره واعتنف الأمر. أخذه بعنف .وفي الحديث : إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف .هو بالضم الشدة و المشقة . وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله .

و العنيف الذي لا يحسن الركوب وليس له رفق بركوب الخيل

وقيل : الذي لا عهد له بركوب الخيل و الجمع عنف ،قال :

لم يركبوا الخيل إلا بعدما هرموا فهم ثقال على أكتافها عنف[2]

[1]محمد معتصم "المتخيل المختلف "،– منشورات الاختلاف – ص48

[2]لسان العرب : إبن منظور ج 10 ص 304

ب - العنف اصطلاحا :

إذا كان مفهوم العنف لغة هو الشدة و الغلظة وضد الرفق . فإن مفهوم العنف اصطلاحا يتسع شيئا ما ليشمل معاني أخرى متعددة حسب المجالات سواء في علم النفس أو علم الإ جتماع أو حتى في العلوم القانونية.

"ويشير العنف اصطلاحا إلى كل فعل شديد وقاس يغاير ويختلف مع الوضع الطبيعي لوجود الأشياء" [1].

وبشكل عام و في كل هذه الحالات .هو إلحاق الأذى بالآخر قولا أو فعلا بشكل مادي أو معنوي ، ويفسر العنف على انه نتيجة حتمية لعدة عوامل ومؤثرات داخلية و خارجية . او ما تسميها الدكتورة سعاد عبد الله العنيزي بمحفزات العنف . [2]

العنف سلوك يكون في الغالب مصحوب بتعبيرات تهديديه . وهو سلوك له أساس غريزي .

حيث تعتبر ظاهرة العنف .إحدى أقدم الظواهر التي كانت قد ظهرت في المجتمعات الإنسانية وهي ظاهرة تخلف نتائج سيئة وسلبية على المجتمع وعلى الأفراد على السواء .

و العنف مستويات مختلفة يمكن أن تحصر في اثنين هما " العنف المادي الذي يكون موضوعه الجسد , و العنف المعنوي الذي يلحق بالإنسان و يمس مشاعره ويقيد حريته وكل عنف مادي لابد يلحقه عنف معنوي .و العنف لا بفقد دلالته بمجرد تفاوت مستواه أو قوته .[3]

[1] انظر سعاد عبد الله العنيزي *صور العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة .دار الفراشة ص 20

[2] د علي عبود المحمودي *الفلسفة و الإرهاب–دار الإيمان –ط 1 ص 30

[3] حسن مودن،" الرواية و التحليل النصي "،الدار العربية للعلوم ناشرون–منشورات الاختلاف ط 1 ص 28

3 – مفهوم الرواية

أ- لغة :

لتحديد مفهوم الرواية لغة لا مناص من العودة للقواميس و المعاجم العربية .إذ نجد لها معان عديدة . فقد ورد في *لسان العرب" عن ابن سيده في معتل الياء روي من الماء . ومن اللبن يروي ريا ..ويقال الناقة الغزيرة هي تروي الصبي لأنه ينام أول الليل . ..والرواية المرادة فيها الماء .ويسمى البعير راوية ....و الرجل المستقى أيضا راوية ...ويقال روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له متى حفظه للرواية عنه"*[1]

و ورد في *المعجم الوسيط *روى البعير ريا : استقى –و القوم و عليهم و لهم : استقى لهم الماء و البعير : شد عليه بالرواء ...و الحديث أو الشعر : حمله و نقله . فهو راو* 2*[2]

والقول نفسه نجده في *نظرية الرواية لعبد الملك مرتاض . حينما قال *إن الأصل في مادة روى في اللغة العربية هو جريان الماء . أو وجوده بغزارة . أو ظهوره بأي شكل من الأشكال .أو نقله من حال إلى حال أخرى . من أجل ذلك ألفيناهم يطلقون على المزادة الرواية ، لأن الناس كانوا يرتوون من مائها ، ا ثم على البعير الرواية أيضا لأنه كان ينقل الماء . فهو ذو علاقة بهذا الماء .كما أطلقوا على الشخص الذي يسقي الماء . هو أيضا الرواية * *[3]

ومن هنا تستشف ن التعاريف اللغوية هي في اغلبها ذات مدلولات متقاربة .

ب- اصطلاحا :

الرواية ظاهرة أدبية حديثة النشأة . وهي من أبرز الأشكال السردية التي ظهرت في الساحة الأدبية .

وتعد أكثر الأجناس الأدبية التصاقا بالواقع المعاش . وتأثيرا في المتلقي .فهي لسان المجتمع و ترجمانه

---

[1] لسان العرب لابن منظور مادة–روي-دار صادر بيروت ط 4 ج 6 ص270

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون "المعجم الوسيط مادة "ر.و.ي المكتبة الإسلامية اسطنبول ج 1 ص 384

[3] عبد الملك مرتاض "في نظرية الرواية "،عالم المعرفة الكويت -1998-ص 22-23

وبقدر ما تبدو كجنس أدبي معروفة لدى العامة إلا أن تعريفها ليس بالأمر الهين . نظرا لحداثتها و تطورها المستمر . *حيث يقول الدكتور عبد الملك مرتاض في معرض حديثه عن الرواية *إن الرواية تتخذ لنفسها ألف وجه . وترتدي في هيئتها ألف رداء . وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا . لأنها تشترك مع الأجناس الأخرى في كثير من الخصائص*[1]

معنى هذا أن الرواية تتجدد من حين إلى آخر و تساير الحياة في تقلباتها وتتفتح على الواقع المعاصر و يرى" **ميخائيل باختين BAKHTINE.MIKHAIL** " أن الرواية * *هي الجنس الأدبي الوحيد الذي ما زال في طور التكوين.*

*الرواية لا تظل رواية إلا لأنها جنس أدبي لا يكتمل ولا يستغلق ...بنقصانها المستمر الذي يسمح لها بتملك ما هو متغير في الواقع الكوني الجديد .لأن هذا النقصان العصي على الكمال هو الذي يمكنها من امتلاك الحركة المستمرة . أي امتلاك ما يفرض نقصها المستديم ..**[2]

ومن هنا يمكن أن نربط حركية الرواية المستمرة بحركية المجتمع الدائمة و المستمرة .فهي دائما تفرض شروطا جديدة حسب العلاقات الاجتماعية الجديدة . وهي فعلا لا قولا . لسان حال المجتمع .

وقد كان للآراء الأولية "**لهيجل HEGEL** " الفضل الكبير في تشكيل تصور مبدئي أو إعطاء تعريف نظري للرواية والذي استمده من الملحمة كفن قديم عرفه الغرب .

و قدم " جورج لوكاتش **GEORGE.LUKAKS** "مقاربته للرواية بناءا على تأملات *هيجل " الرواية وليدة الطبقة البرجوازية ، وهي البديل عن الملحمة ..وهي ملحمة العصر الحديث"*[3]

و انطلاقا من هذه المقاربة قدم **جورج لوكا تش** تصوره عن الرواية "*إن الرواية هي الجنس الأدبي النمطي للمجتمع البرجوازي ، مع أن مجتمعات سابقة له قد*

[1] عبد الملك مرتاض –في نظرية الرواية –ص 11

[2] سالم معوش – صورة الغرب في الرواية العربية ص 29-30

[3] د صالح مفقودة * المرأة في الرواية الجزائرية –دار الشروق للطباعة و النشر - ج بسكرة ط 2 2009 ص37

عرفت أشكالا أدبية تقترب من الرواية فإن الشكل الروائي لم يظفر بمقامه الحقيقي إلا في المجتمع البرجوازي "[1]

لوكا تش طور و عمق آراء هيجل الأولية حول الرواية

وبالعودة إلى القواميس الأدبية نجد إبراهيم فتحي في كتابه معجم القواميس الأدبية يرى أن" *الرواية سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث و الأفعال و المشاهد .."*[2]

حسب إبراهيم فتحي فإن جذور الرواية إنما تمتد لفن القصة ، وهي عبارة عن فن نثري .

4 - الرواية الجزائرية :

تعتبر الرواية الجزائرية حديثة النشأة . مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى *وليست استثناء * فالحال لا يختلف كثيرا عن الرواية العربية على العموم , وهي فن مستحدث في الساحة الأدبية , إلا أنها تمكنت من فرض نفسها وحازت الريادة على كل الفنون الأدبية الأخرى , و أصبحت الاختيار المفضل للقارئ .

" وقد ظهرت الرواية العربية الجزائرية متأخرة بالقياس إلى الأشكال الأدبية الحديثة مثل : المقال الأدبي , القصة القصيرة , و المسرحية , بل إن هذه الأشكال الأدبية تعتبر حديثة بالقياس إلى مثيلاتها في الأدب العربي الحديث "[3]

و قد كان للاستعمار الفرنسي أثر كبير في ذلك , فسياسة التجهيل و الاضطهاد التي مورست على الشعب عامة وعلى المثقفين و المفكرين بصفة خاصة كانت لقطع الطريق أمام أي محاولة لتوعية المواطن الجزائري بمخاطر ذلك . ولكن من رحم المعاناة و الحرمان و الاضطهاد يولد الوعي .

[1] سالم المعوش * صورة الغرب في الرواية العربية * مؤسسة الرحاب الحديثة بيروت ط 1 1991 ص 29

[2] ابراهيم فتحي *معجم المصطلحات الأدبية *المؤسسة العربية للناشرين المتحدين –تونس ط 1986 ص 176

[3] عبد الله الركيبي " تطور النثر الجزائري الحديث *دار الكتاب العربي * تونس ط2009 ص235

لـم يتـأخر الأديـب الجزائـري في تحمـل مسـؤولياته تجـاه وطنـه و شـعبه . بـل كـان مـن القـادة الأوائـل للحركـة *الوطنيـة ." حمـل الأدبـاء علـى عـاتقهم مسـؤولية المسـاهمة في معركـة البناء , وتصوير مظاهر الصراع العنيف الذي يخوضه سواد الشعب لإ ثبات وجوده"* [1].

و يعد **أحمد رضا حوحو** رائد الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية بروايته *غادة أم القرى * التي صدرت سنة 1947 .بالإضافة إلى بعض المحاولات الأخرى التي لم يلها النقاد أهمية كبيرة ، كرواية - الطالب المنكوب ل " عبد الحميد الشافعي أو العشاق في الحب و الاشتياق ل " محمد بن إبراهيم

وقد تضاربت الآراء واختلفت حول البداية الحقيقية للرواية الجزائرية .

* في حين يذهب–أبو القاسم سعد الله وعبد الملك مرتاض , إلى اعتبار غادة أم القرى أول عمل روائي , ينفي عبد الكريم الخطيبي ظهور الرواية في الجزائر قبل الاستقلال *[2]

وتعتبـر فتـرة السـبعينات بمثابـة الإنطلاقـة الحقيقـة للروايـة الجزائريـة , بحيـث يمكـن الحـديث عـن تجربـة روائيـة جـادة بظهـور بعـض الأعمـال الروائيـة" *مـالا تـذروه الريـاح لمحمـد عرعـار وريـح الجنـوب لعبـد الحميـد بـن هدوقـة و الـلاز و الزلـزال للطـاهر وطار ..."* [3]

وقـد كانـت علامـات التحـرر باديـة في كتابـات الرعيـل الأول للـروائيين الجزائـريين , حيـث سـجلت الكتابـة الروائيـة جـرأة في الطـرح ومحاكمـة الاسـتعمار , و إدانـة جرائمـه .و كنتيجـة لـذلك عالجـت الروايـة آنـذاك مختلـف الإشـكاليات الإجتماعيـة و السياسـية الجديـدة ولـم تخـرج عـن جدليـة الخيـال و الواقـع . "*يلاحـظ سـيطرة المضـامين الإنفعاليـة التي تمجـد الأحاسـيس السـطحية , ولا نجـد أي كاتـب أو ناقـد , أثـار مـثلا مسـالة الشـكل الفني أو الجوانب الجمالية للنص...**[4]

[1] صالح مفقودة * المرأة في الرواية الجزائرية * ص 32

[2] إدريس بوديبة "الرواية و البنية في روايات الطاهر وطار " ص 38

[3] أحلام معمري "نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية "مجلة الأثر ج قاصدي مرباح ورقلة 2014 ص 60

[4] إدريس بو ديبة " الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار " ص37

وقد نرجع ذلك إلى حداثة العهد بالرواية , من جهة , وعدم وجود حركة نقدية جادة وقوية , من جهة أخرى .

و شكلت فترة السبعينات الإرهاصات الحقيقية للكتابة الروائية في الجزائر , لتتمكن من التموقع في الحقل الأدبي الجزائري , على قلتها آنذاك .

إن المكانة التي افتكتها الرواية الجزائرية في هذه الفترة جعلت كوكبة كبيرة من الكتاب تعلن عن نفسها في الفترة اللاحقة " منهم على سبيل المثال لا الحصر و" **واسيني الأعرج ,الجيلالي خلاص , الطاهروطاررشيد بوجدرة محمد مفلاح , أمين الزاي " الحبيب السايح , مرزاق بقطاش** ... وغيرهم".

تميزت فترة الثمانينات بمواكبتها للتغيرات السياسية و الإجتماعية التي بدأت تمر بها البلاد من خلال الإنفتاح على الآخر , فتمكنت من توظيف تقنيات سردية جديدة تليق بتعقيدات الواقع الجديد , منها تعدد الأصوات داخل الرواية أو "التشظي " و الذي يعتبر انعكاسا حقيقيا للتغير الحاصل في المجتمع آنذاك, رواية **التفكك لرشيد بوجدرة , نوار اللوزلواسيني الأعرج** ....

إن ما يعرف في تاريخ الجزائر المعاصر بالأزمة أو العشرية السوداء إنما كان نتيجة للتفاعلات السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية التي عرفتها البلاد في الفترات السابقة . ولم يكن المثقف بعيدا عما يدور حوله .فقد اكتوى مثلما اكتوى غيره من فئات الشعب بنار الفتنة التي تأججت في البلاد" *فالأزمة الجزائرية شغلت الكثيرين : المثقفين , و المبدعين ,كما شغلت العام و الخاص , بعدما تسللت إلى يوميات الإنسان الجزائري , وكان ذلك كافيا لتتخذ مادة دسمة استهلكت في العديد من الكتابات "*[1]

و الأديب بطبعه لا يمكنه أن يغيب أو يتأخر . عن الإنشغال بما يدور حوله فهو جزء مكون رئيس من مكونات المجتمع الذي بات يمر بفترة من أصعب فترات تاريخه وأصبح الشغل الشاغل للفرد داخل هذا الوطن المنكوب هو كيف يبقى حيا . وفي خضم هذا

[1]الشريف حبيلة " الرواية والعنف –عالم الكتب الحديث – اربد الأردن ط 1 2010 ص 01

الواقع الذي أصبحت يومياته العنف و الإرهاب .أضحى الشغل الشاغل للروائيين الجزائريين هو نقل جرائم الإرهاب وتسجيل معاناة الناس بل تسجيل آهات الوطن الجريح .

من محنة الجزائر هذه , ومن دراما الواقع المأزوم , استطاعت الرواية الجزائرية أن تبني فضاءاتها وتحيك أحداثها . وكانت أكثر الأجناس الأدبية اندماجا مع الأزمة" *كان للرواية الحظ الأوفر نظرا لطبيعتها ، التي مكنتها من احتواء تلك التجربة الإنسانة إضافة إلى امتلاكها مقومات البعد الوظيفي المأساوي*" [1] .

كما سبق وأشرنا أن مجرد فعل الكتابة كان يعتبر جريمة ومغامرة ومجازفة في الوقت نفسه ، ولنا أن نتذكر في هذا المقام **الطاهر جاووت وعبد القادر علولة ، وبختي بن عودة** ...وغيرهم .

ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نفصل الرواية الجزائرية ، عن واقع المجتمع الجزائري ،فهي دوما كانت مرآته العاكسة ، وبخاصة من حيث مسايرة حركيته السياسية و الإجتماعية "*فقد كان الإبداع الروائي الجزائري المكتوب بالعربية دوما وليد تحولات الواقع الجزائري زمن الإستقلال ، ومنه يستمد أسئلة متنه الحكائي ، وبسببه يبحث عن الأشكال و الأبنية الفنية القادرة على استيعاب اشكالياته المتجددة ، وصياغة المواقف الفكرية و الإيديولوجية إزاءها*".[2]

لذا فلا غرابة أن يكون موضوع العنف ، و الإرهاب ، و الألم ، و المعاناة ، و التهميش مادة دسمة لرواية التسعينات , فقد كان الروائيون الجزائريون مشدودون "طوعا أو كرها" للأوضاع المأساوية التي يمر بها الوطن . فقد استوعبوا كل المضامين ونقلوها بعمق شديد "*فقرأنا روايات لمختلف الأجيال (إذا اعتبرنا أن الجيل مرتبط بكل عشرية)* تعاطت موضوع العنف السياسي وآثاره اجتماعيا و اقتصاديا و ثقافيا ،حيث يلتقي " **الطاهر وطار** " في " **الشمعة والدهاليز**" مع "**واسيني الأعرج** " في سيدة

[1] المرجع نفسه ص 02

[2] بوشوشة بن جمعة "التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية –المطبعة المغربية ط ن تونس ط 1 ص08

المقام "في البحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها كما جسدها آخرون كإبراهيم سعدي في "فتاوى زمن الموت" ومحمد ساري في "الورم " و بشير مفتي في "المراسيم و الجنائز " من خلال شخصيات مهزومة بخيبات أمالها ،فيما كانوا يرنون إليه "هذه الروايات أرّخت لمرحلة العنف بكل تفاصيلها "[1]

رواية الأزمة –رواية المحنة – رواية العشرية السوداء ، كل هذه التسميات و غيرها أطلقت على الرواية المكتوبة في التسعينيات إلا أن هناك من النقاد من وضعها في قفص الاتهام ورماها بالتسرع و السطحية في معالجة المعضلة من جانب إيديولوجي فقط دون إعطاء الوقائع أهمية ،أو محاولة الإلمام بها *" أغلب ما كتب خلال العشرية السوداء و ما أنتج من أفلام و مسرحيات ، هي مجرد كتابات إيديولوجية و سطحية استغلت الحدث أكثر مما أعطته من عمق إنساني و أدبي وإبداعي "*[2]

إلا أن هذا لا ينقص من كون رواية التسعينيات ، حاولت أن تعكس ما يتعرض له المجتمع من نكسات أدت إلى انقسامات إيديولوجية كانت حقيقة يعيشها الناس في يومهم وكانت جزء من الواقع المعاش . وذلك ديدن الرواية أن تعالج مختلف التحولات .

[1] أمنة بلعلى " المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ص191

[2] محمد شفيق مصباح *الجزائريين ركوض و نهوض* تر/محمد مهناد ط 2009 ص250

الفصل الأول

متخيل العنف في الرواية الجزائرية

1. متخيل العنف في الرواية الجزائرية:

" ما دامت الثورة ليست مجرد حكاية ، وأن الحكاية لا يمكن أن تنوب عن التاريخ ،ولا التاريخ يمكن أن ينوب عنها ، فأين تكمن طبيعة المتخيل الذي جعل من تاريخ الثورة موضوعا له . هل في الأحداث ذاتها ، أم في طريقة سرده لأحداث الثورة ، أم في تلقيها كموضوع جمالي وتأويلها ؟" [1]

إن الزخم الذي عرفه تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر في مختلف المجالات (السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية)، وفر للرواية الجزائرية مرتعا خصبا تشبعت منه في مجال الموضوعات وتنوعها ،و وحدة المصدر هذه لم تشكل عائقا أمام الروائيين الجزائريين " بل على العكس شكلت حافزا للمتخيل ليكشف عن عبقرية السارد في نقل الواقع بصورة مغايرة بالتضخيم أحيانا و التبسيط أحيانا أخرى و بانفعالية أحيانا ، و سلاسة وهدوء أحيانا أخرى .

نادرا ما تكون الثورة بدون عنف. فالعنف ملازم للثورة بالضرورة . (أيا كان هذا العنف جسدي أو لفظي أو نفسي ...) ولكن كيف يمكن أن نستخلص المثل العليا و البادئ السمحة و البطولات و التضحيات وكل ما هو جميل من شيء قبيح هو العنف .

"هذا التجاوز قد يكون في مستوى الأحداث و الشخصيات ، أو في مستوى السرد والأسلوب...كما قد يلجأ الروائي إلى استخدام أساليب سردية إبداعية ، مثل الأسلوب الرمزي أو الأسطوري أو التأويلي" [2]

فإذا كان المؤرخ ملزم أدبيا و أخلاقيا بسرد الأحداث كما وقعت دون زيادة أو نقصان ، فإنه يجوز للروائي أن يتجاوز الواقع ليحدث أثرا ما لدى المتلقي .

[1] - أمنة بلعلى* المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ص52

[2] - د ربوح ح السعدية و د ناهلية مسعود المتخيل السردي وآفاق الكتابة الروائية التاريخية ص 271

يعتبر القارئ هو المستهدف الأول بالنسبة للروائي لأنه هو الذي سيحدد كيف سيتفاعل مع المتخيل السردي في الرواية وكيف سيؤثر ذلك على فهمه للأحداث .

وقد أبدع الروائيون الجزائريون في تصوير مشاهد العنف التي عصفت بالبلاد إبان العشرية السوداء ، ولم يقتصر نقل الوقائع على السرد المادي فقد ، بل غاصوا أبعد من ذلك لتصوير كيف استطاع العنف أن يتشكل داخل المتخيل الجمعي و الفردي .

ورواية " الورم " لمحمد ساري واحدة من هذه الروايات التي تجاوزت الآثار المادية للعنف " (الرؤوس المقطوعة أو الجثث المتناثرة...) بل راح يصور حضور الموت ، وكأنه يريد أن يتحدث عن العنف الغير مرئي .

العنف و الإرهاب شكلا هاجسا للمثقف الجزائري عامة و الروائيين بصفة خاصة ، ويبدو أنهم أول من أدرك الآثار المدمرة التي ستنجم عن ذلك مستقبلا ، سواء بالنسبة للأجيال القادمة أو على الأمة في جميع النواحي ، إذ المجتمع الجزائري كان مهدد في وجوده و استمراره وقد أدرك الروائيون الجزائريون ذلك مبكرا ، مما حتم عليهم دق ناقوس الخطر مبكرا .

ولا غرابة إن وجدنا لروائي واحد أكثر من عملين أو ثلاثة ، يدور الموضوع فيهم حول العنف و الإرهاب هو الحال عند محمد ساري مثلا ، في ***حرب القبور أو جسدي المستباح أو حصاد الرمال أو أشباح المدينة المقتولة أو القلاع المتآكلة ...***

رغم أن محرك الأحداث واحد ، و هو العنف و الإرهاب وتداعياته. و المؤلف واحد .إلا أن المتخيل قد يكون متعدد و يأتي بصور مختلفة *" إن المتخيل يبرز في بنيات مختلفة عند الكاتب الواحد نظرا لتمايز صيغ السرد و درجاته ،و آليات الوصف ومساراته التصويرية ، و البطاقات الدلالية التي ترد بها الشخصيات ."*[1]

يبدو أن القاسم المشترك بين الرواية الجزائرية في مختلف مراحلها هو العنف إلا أن المتخيل السردي يتمرد على الواقع ويتجاوزه ليخلق عالمه الخاص *" المتخيل السردي مجموعة من العناصر السردية التي من الواضح عدم استنادها للواقع التاريخي*

[1] - أمنة بلعلى * المتخيل في الرواية الجزائرية .. ص 08*

و يتحدد من خلال خصائص كسعيه إلى خلق عالم سردي خيالي أو رمزي أو مجازي ." [1]

إلا أن السؤال الذي يبقى يراودنا دائما هو : هل استطاع المتخيل السردي في الرواية الجزائرية ان يتجاوز الواقع ؟

ترى الدكتورة أمنة بلعلى *أن المتخيل في رواية السبعينات و بداية الثمانينات ، ينظر إليها اليوم على أنها رواية دون متخيل ، وتصنف ضمن العلامات المفهومة ..وهي التي لا تبذل جهدا كبيرا في تأويلها ، نظرا لطغيان السياسة و الايدولوجيا ،وتعاطي موضوع الثورة و التوسل بلغة العبارة المباشرة . وأنها رواية استطاعت أن تنزع الاعتراف بها داخل المشهد الثقافي الجزائري آنذاك.** [2]

إن تبعية الرواية الجزائرية في السبعينيات للثورة ، إنما كانت في الحقيقة انعكاس لواقع الحال ، إذ أقصى ما كان يطمح إليه الفرد و المجتمع هو التحرر و الانعتاق ثم يأتي بعد ذلك التفكير في كيف نتصور الواقع الجديد ، إلا أن اغلب الأعمال الروائية لم تتحرر من قيود الأيديولوجيا إلا ما ندر "**كزمن النمرود للحبيب السايح التي جسدت عنف تحيين القيم و إيديولوجيا المتخيل لحلها من الرقابة و المصادرة**" [3]

بالحديث عن الرقابة و المصادرة ، شكلت مرحلة الثمانينات ربما أصعب المراحل التي مرت بها الرواية الجزائرية ، ويمكن أن نصفها بمرحة التململ و البحث عن الذات ، وقد عانى المثقف كثيرا في إسماع صوته ، ولم يكن مسموحا بالتفكير خارج الصندوق (الحزب الواحد) وهذا التضييق لا يمكن اعتباره إلا عنف وترهيبا مورس على المثقف بصفة عامة و على الروائي بصفة خاصة ،وقد شهدنا حضورا لافتا للرمزية و الإيحاء في الرواية الجزائرية في ظل غياب مساحات لحرية التعبير المباشر عن القضايا الشائكة ، وشكل المتخيل السردي ملاذا للتعبير عن المسكوت عنه وسجلت خيبة الأمل التي أصابت الروائي ما بعد الإستقلال ، بل المجتمع برمته ونذكر منها على

[1] - المتخيل السردي و افاق الكتابة الروائية د ربوح ود مسعود ص 275

[2] - امنة بلعلى * المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل الى المختلف *صص 11/10

[3] - انظر امنة بلعلى المتخيل في الرواية الجزائرية

سبيل المثال لا الحصر " **نوار اللوز**" لواسيني الأعرج 1984 ، أو أعمال الطاهر وطار " **الولي الطاهر يعود الى مقامه الزكي** "

" أي أن يكون الروائي قادرا أن يجعل الغياب ظاهرا ،لقد كان المتخيل مقترنا بأشياء عجيبة ،ثم أصبح بتعبير أندري مانرو* متخيل الحقيقة يبقى مشدودا إلى العجيب ، لأنه متخيل ولأن الرواية هي مكان الممكن ونهائية الممكنات ، فعلى الورق فقط يمكن أن تتحقق كل الأحلام و الرغبات ، ليفتح للروائي كما للقارئ فضاء من الحرية "* [1]

كانت الرواية في الثمانينيات ولا تزال متنفس الكتاب و المنبر الحر الذي يمارس عليه الكاتب حريته و السوق الذي يعرض فيه أفكاره وقد سجلت هذه الفترة حراكا فكريا متناميا ، مثل البدايات الأولى لمرحلة الإنفتاح التي عرفتها الجزائر نهاية الثمانينيات و بداية التسعينيات .

لتمثل فترة التسعينيات فترة حاسمة في تاريخ الجزائر المعاصر ، ولم يعد هناك مجال للتلميح أو الرمزية فالجرائم و العنف و المذابح و الإرهاب بشتى أنواعه قد كشف عن نفسه و خرج للعلن .

2. الرواية الجزائرية و الأزمة :

بقدر ما كانت الأزمة التي مرت بها الجزائر مريرة وشنيعة ، ومثلت جرحا غائرا في تاريخ البلاد ، بقدر ما كانت محفزا رئيسا للإبداع .

حيث عمل الكتاب على تسجيل وتوثيق و تحليل الواقع المعقد و الظروف الصعبة التي يمر بها المجتمع *." و الواقع أن الأزمة ليست ناجمة عن وضع بعينه ، أو نتيجة لعامل بذاته بقدر ما هي حصيلة لأوضاع و عوامل شتى ، أدت إلى خلق إحساس بوجود أزمة فعلية "* [2]

[1] - المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل الى المختلف –امنة بلعلى ص 31/31/

[2] - عمار بن زايد * النقد الأدبي الجزائري *المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر ط 1990 ص 64

و لم تكن الأزمة بوجه واحد ، بل تعددت وجوهها وتكاثرت ، فظاهرها سياسي بلباس ديني وباطنها اجتماعي نفسي بلباس اقتصادي ، وبين هذا وذاك تشتت المتون الروائية في جمع ما أمكن في ظل واقع متشرذم ، بنقل و توثيق الأحداث أحيانا و بمسائلتها عن الأسباب و الدوافع أحيانا أخرى .

وشاءت الأقدار أن يسير الأدب الجزائري بصفة عامة ، و الرواية بصفة خاصة في خط متوازي مع الأزمات *هذا الأدب الذي كاد أن يتوازى في دروب مظلمة أسهمت في صوغها جملة من المعطيات يقف على رأسها المعطى السياسي الذي تحول إلى إيديولوجيا حاولت ترسيخ خطابها الوحيد الذي رأى في غيره باطلا بل حراما...*[1]

و الواقع أن فترة التسعينات هي أشدّ الفترات التي ارتبطت فيها الرواية الجزائرية بالأزمة ، حتى أنها عرفت برواية الأزمة ، أو رواية المحنة ، أو رواية العشرية السوداء ، غير أن هناك من أطلق عليها وصفا آخر أقرب إلى الحكم منه إلى التوصيف .

" أغلب ما كتب خلال العشرية السوداء وما أنتج من أفلام و مسرحيات ، هي مجرد كتابات متسرعة و سطحية ، استغلت الحدث أكثر ممّا أعطته من عمق إنساني و أدبي و إبداعي" [2]

و قد يعود هذا كون الرواية تفاعلت سريعا مع الأزمة ، وأن الروائي الجزائري كان على رأس قائمة المستهدفين ، لذا جاءت كتاباته متسرّعة ، إلا أن هذا لا يعني أن كل ما كتب كان كذلك رغم غلبة القناعات الفكرية و الإيديولوجية عليه . وأحيانا كانت الكتابة ترتكز على تجربة شخصية عاشها الروائي نفسه مثلما هو الحال في رواية *شرفات بحر الشمال *لواسيني الأعرج" حيث صور فيها جانبا من القلق و الخوف التي كان يعاني منه البطل ، وتنقله المستمر

[1] - ا . رشيد بلعيفة * سياق الإرهاب و دافعية الكتابة *مقال منشور في كتاب الأدب الجزائري بين خطاب الأزمة ووعي الكتابة أعمال الملتقي الوطني الثامن الوادي ص 246

[2] - محمد مصباح شفيق *الجزائريين ركوض و نهوض * منشورات الاختلاف ط 1 2013 - ص 91/90

من مكان إلى مكان وهو يتوقع أن تأتيه في أي لحظة رصاصة قاتلة أو طعنة غادرة في الظهر "[1]

فكتابة الروائي عن واقع عايشه في لحظته لا يمكن أن يصنف على أنه استعجال فهو ليس مجبرا على أن ينتظر قراءات الآخرين وتفسيراتهم لمشهد عايشه بنفسه.

و بحديثنا عن الأزمة ، نحن نتحدث عن منعرج خطير واجه الأدب الجزائري برمته وليس الرواية فحسب .حيث تفجرت قرائح الأدباء من روائيين وشعراء و سينمائيين لتصوير مأساة شعب و التأريخ لأزمة تعد من أعقد الأزمات التي مرت بها البلاد و العباد على حد سوء . هذا الحدث العظيم الذي عاشته الجزائر من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها ،أنتج أدبا يشع بالوحشية و الرعب و الهواجس و العنف و الإرهاب ، ويمكن الجزم أن هذه المرحلة كانت أكثر إنتاجا رغم صعوبتها و سوداويتها ، و كشفت عن نجانس المتناقضات في المشهد الواحد ، فبتنا نرى الموت و الحياة و الفرح و الحزن و الألم و الأمل في صورة واحدة ولا نفرق بينهما . كل هذا الزخم أبدع أدباؤنا في نقله إلينا في نقله إلينا عبر روايات جديرة بالقراءة و التحليل ، من قبيل رواية * دم الغزال لمرزاق بقطاش و رواية ماذا ينتظر البجع ليا سمينة خضرا او دمية النار لبشير مفتي أو مرايا متشظية لمرتاض...

وقد تعددت وجهات النظر واختلفت في تناول الأزمة ، ويعد الروائي **سالمي ناصر**" *من ابرز الكتاب الذين تناولوا الظاهرة من زاوية مختلفة ومنظور مغاير ، ذلك لأنه يبني أحداث روايته على الإشاعة ، و الأثر الكبير الذي أحدثته في تغذية الصراعات وتأجيج نار الحقد و الكراهية الملتهبة و نشر الفرقة و الخلاف بين سكان –عين آدم- المكان الرمزي المتخيل و المعبر عن المكان الحقيقي الجزائر."* [2]

لم تغفل الرواية الجزائرية المكتوبة في زمن الأزمة عن كل هذه الأوضاع و المظاهر والاضطرابات المختلفة المشاهد ، بل شكلت محفزا للإبداع في زمن الخوف .

[1] - ابراهيم عبد النور * الممارسة النقدية في الرواية الجزائرية بين الذاتية و الموضوعية قراءة في نماذج * أعمال الملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقة الخامس عشر للرواية ص 1

[2] - د سحنين علي *ظاهرة العنف في رواية الألسنة الزرقاء لسالمي ناصر * مجلة دراسات معاصرة المجلد 06 العدد 02 2022 ص 528

3- صور العنف في الرواية الجزائرية

تناولت الرواية الجزائية ظاهرة العنف و الإرهاب من زوايا متعددة ، ولم يقتصر النص الروائي على التناول من الجانب التوثيقي بشتى صوره ، بل تجاوز ذلك إلى محاولة الفهم و التأثير على النفس البشرية و النسيج الإجتماعي .

وتعد الرواية الجزائرية شاهدا أدبيا حيا على مرحلة مظلمة من تاريخ الجزائر ، وأسهمت في حفظ الذاكرة المتألمة بكل ما تحويه من مشاهد و أحداث عنيفة ، ولم تكتفي بذلك بل قدمت رؤيا عميقة حول طبيعة العنف وصوره .

إذ أنّ هناك الكثير من الروايات التي اتخذت العنف موضوعا لها ،تكشفه و تعرض نتائجه السلبية وتتطرق لصوره المتعددة منها ما كتب بالفرنسية ومنها أيضا ما هو مكتوب بالعربية . كرواية " دم الغزال " لمرزاق بقطاش " الولى الطاهر يعود الى مقامه الزكي" للطاهر وطار , "متاهات ليل الفتنة " لحميدة العياشي ، " حارسة الظلال " "دون كيشوت في الجزائر " لواسيني الأعرج إضافة إلى رواية " سادة المصير لسفيان زدادقة وغيرها من الروايات الأخرى " [1]

استطاع الروائيون الجزائريون أن يشيروا إلى صور مختلفة تسيّد العنف المشهد من خلالها نذكر منها :

صورة المتطرف ، صورة السياسي المتطرف ، صورة المرأة و الطفل وغيرها الكثير...

أ - صورة المتطرف : ونقصد هنا المتطرف الأيديولوجي ، لان أنواع التطرف كثيرة و متعددة ، ولأن القناعات الفكرية المتطرفة كانت أحد الأسباب المباشرة للعنف في بلادنا

" يقصد بالمتطرف الإيديولوجي ،المتطرف الذي مارس العنف بغية الوصول الى تحقيق قناعته الفكرية .

[1] - أنظر سعاد عبد الله *صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة دار الفراشة للطباعة و النشر ط 1 ص19

و روايـة " حارسـة الظـلال لواسـيني الأعـرج تعـرض هـذه الصـورة بوضـوح في شخصـية قـادة الحركـة الإسـلامية إذ ذاك بوضـوح" *لا وجـود للديمقراطيـة ، فالمصـدر الوحيـد للتشـريع و الحكـم هـو الله ومـن خـلال القـرآن ، ولـيس الشـعب ضـد القـانون الإلهي، فلـن يكـون ذلـك إلا كفـرا ، وفي هـذه الحالـة يجـب قتـل الكـافر لأنـه أراد تعريض قدرة الله بضعفه هو*" [1]

و قـد عرضـت الروايـة الجزائريـة صـورة المتطـرف ن بكـل أبعادهـا و ربطتهـا بـالعنف ، ولـم يكـن ذلـك مصـادفة ، وبنـاءا دراميـا مـن نسـج الخيـال ، إنمـا ارتـبط بمـا شـهدته الـبلاد بشـكل معمـق في فتـرة العشـرية السـوداء .لقـد سـعت الروايـة إلى تشـريح الظـاهرة مـن خـلال رسـم صـورة معقـدة للمتطـرف ، لا تقتصـر علـى الجانـب الإيـديولوجي فحسـب ، بـل تمتـد لتشـمل الجوانب النفسية و الاجتماعية التي ساهمت في تشكيله .

ب - صورة المتطرف السياسي :

إن الحديث عن المتطرف السياسي يجرنا إلى الحديث عن (عنف السلطة و عنف المتطرفين) كـان موضـوع حـديث بعـض الروايـات التـي تناولتـه كواقـع حـال يصـور مشـهدا آخـر مـن مشـاهد العنـف الكثيـرة ، فالسـلطة بمكوناتهـا كـان منوطـا بهـا ان تحمي الشـعب و ممتلكاتـه وإن اسـتدعى ذلـك اللجـوء إلى العنـف . وروايـة " الـورم " لمحمـد سـاري و " سـادة المصـير " لسـفيان زدادقـة و "*روايـة مرايـا متشـظية*" لعبـد الملـك مرتـاض مـن بـين الروايـات التـي عالجت الموضوع.

فشخصـية عمـار مـن مسـعود في سـادة المصـير مثلـت صـورة مـن صـور العنـف الـذي مارسـه الانتهـازيون الـذين اسـتغلوا تفكـك الوضـع الامني للوصـول الى السـلطة عـن طريـق الوعود الكاذبة .

[1] - المرجع نفسه ص 43

"لقد وعد أخاه بقصر فخم و مائة زوجة ، و وعد والديه بالإنفاق على رحلة حجهما ليتخلصا من ذنوبهما التي اقترفاها في سبيل تكوين العائلة ..." [1]

وقد كان الوصول للسلطة هو الهاجس الأول لعمار بن مسعود ، ومن أجل تحقيق ذلك سيفعل كل شيء ، حتى بات يرى نفسه في المنام أنه وصل الى القصر *" ظلت هذه الرؤيا تراوده بين عينيه على مائدة الطعام حين يأكل ، وعلى السرير حين ينام ، و في المرحاض حين يدخل إليه ، وعلى وجوه من يراهم في تلك الفترة ."* [2]

هكذا تشكل العنف في نظر سفيان زدادقة بمثل عمار بن مسعود الذي كان همه الوحيد هو الوصول إلى السلطة سواء بحزب المحافظين أو بحزب الإسلاميين ولم يكن همه خدمة الشعب .

وتعرض رواية مرايا متشظية لعبد الملك مرتاض صورة أخرى للعنف الذي مارسه شيوخ القبائل السبع للوصول إلى قصر العالية بنت المنصور" *فشيخ الربوة الخضراء يعلم أن الزواج من عالية بنت المنصور دونه بحار من الدماء "تسيل بين القبائل السبع المتناحرة"* [3]

القبائل السبع ما هي الأحزاب والطوائف و المتناحرة من أجل الحكم ، فأهل الربوة الخضراء يمثلون التيار الديني التكفيري ، ويقومون بتكفير كل من لا ينتسب إلى طائفتهم . وأهل الربوة الحمراء يمثلون التيار الليبرالي أو الشيوعي وهذا التيار يمثل العدو . ومن طقوس العنف لديهم أن كل شيخ من المشايخ يلتمس له فتاة عذراء يتزوجها مع قتل صبي صغير ، كما أنهم لا يرتاحون إلا لرؤية القتل و يقتلون الناس لا على دليل قاطع بل على الشبهة فقط" *نحن نقتلك لأن خال عم خالتك كان ينوي أن يناصر الفئة الباغية علينا ."* [4]

---

[1] - سفيان زدادقة *رواية سادة المصير *منشورات الاختلاف * الجزائر ط 2002 ص 9 + ص 17

[2] - سفيان زدادقة *رواية سادة المصير *منشورات الاختلاف * الجزائر ط 2002 ص 9 + ص 17

[3] - د عبد الملك مرتاض *مرايا متشظية * الهيئة العامة للكتاب صنعاء ط 1 2001 ص 33

[4] - أنظر -د سعاد عبد الله العنيزي -صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ص 38

ج - المرأة و العنف :

احتلت المرأة حيزا كبيرا من اهتمام الروائيين الجزائريين ، فلا تكاد تخلو رواية من روايات العشرية السوداء قبلها أو بعدها من التعرض للمرأة و عرض صور شتى و متعددة لها ، فأحيانا هي زوجة رجل السلطة وأحيانا هي زوجة الإرهابي ، أحيانا أخرى تأخذ صورة الوطن كما هو الحال عند عالية بنت المنصور في مرايا متشظية . عالية بنت المنصور تجيب شيخ إحدى الربوات ، شيخ الربوة البيضاء ، شيخ بني بيضان ، بأنه لا يجوز أن يمتلكها أحدهم من دون الأخر قائلة "*وهل سترضى القبائل المتناحرة بان تتزوجني أنت ،و تستأثر بي أنت وحدك وهم ينظرون ؟ ألا تعلم أن دون ذلك أهوالا و قتال ، ودماء ستجري أنهارا من حول الروابي*"[1]

هكذا هي المرأة قدر لها أن تكون قصيدة تغنيها الحياة بمختلف الألحان ، فهي الأم أولا و الأخت و الزوجة والبنت لذا طالها العنف بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

كما هو الحال في "فوضى الحواس" لأحلام مستغانمي ، فحياة زوجة السياسي رجل السلطة تعاني من رفض أخيها ناصر (الأصولي الإسلامي) لها طالما هي زوجة رجل السلطة

وفي رواية " حارسة الظلال " لواسيني الأعرج نلمس أن العنف على المرأة مزدوج يمارس عليها بصورة مباشرة جسديا بأبشع الطرق و على بناتها بحز رأس أمهم أمام أعيتهم.

" وقبل أن يحز رقبتها صرخت بصعوبة للمرة الأخيرة : أرجوكم أخرجوا البنات اتقوا الله ، لا تفعلوا هذا أمامهم "[2]

عن أي صورة للعنف أبشع من هذه نبحث ؟

[1] - أنظر د سعاد عبد الله العنيزي *صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية ص 73

[2] - واسيني الاعرج * رواية حارسة الظلال دون كيشوت في الجزائر * ص 31

4 – صورة الإرهابي في الرواية الجزائرية

لم تكتفي الرواية الجزائرية بتصوير الإرهابي كقاتل أو مجرم فقط أو كوحش مجرد من الإنسانية بل سعت إلى الغوص و سبر أغواره النفسية و الاجتماعية ، رغم بشاعة الأعمال الإرهابية التي كانت أحيانا تتفنن في الإجرام ، ورغم المشاهد المروعة ، التي مازالت حاضرة في أذهان أفراد المجتمع على اختلاف مشاربهم .

وقد عالجت الرواية الجزائرية هذه الإشكالية ، من جوانب متعددة " *وما ميز الروايات ..، أنها تماهت مع الواقع بشفافية تامة كما تشاطرت الرواية باعتبارها فنّا أدبيا مع بقية العلوم الإنسانية ، بالنظر إليها و بتقييمها من زوايا نظر متعددة ، أدانت الأفعال الإجرامية الشنيعة بقوة كما التمست في بحث الأسباب ، و الدوافع الخفية ، فأدانوا التاريخ و الظروف الخارجية و الداخلية لنشوء العنف* " [1]

من زوايا الرؤية المتعددة هذه ، تشكلت الصور المتعددة للإرهابي ، فأحيانا هو ذلك الانتهازي الوصولي الذي لا يهمه كيف يحقق طموحاته ، فكل السبل في نظره مباحة ، كما هو الحال في شخصية " عمار بن مسعود في رواية مرايا متشظية لعبد الملك مرتاض" *وهذه تنطبق على عمار بن مسعود الذي يجد في الخطاب الديني المتطرف في أوائل التسعينات محفزا و مشجعا للتصرفات والسلوكيات العنيفة ... والتي لا تنتمي إلى النفس البشرية* " [2]

وتعرض رواية الورم نموذجا آخر من الإرهابي ، في شخصية الإرهابي أبي شاقور الذي طلق زوجته لأنها أنجبت بنتين ، و إحداهما في نظره ستنغمس في الفساد و الزنا ، وصورت الرواية هذا الإرهابي الذي يخاف من العار و يدافع عن الدين الإسلامي ، لا يتردد في ممارسة المتعة مع صديقه و أخيه في الجهاد.

[1] - د سعاد عبد الله العنيزي صور العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة ص 34ة

[2] - المرجع نفسه ص 35

يواصل الكاتب في الرواية ذاتها عرض أنموذج آخر للإرهابي عبر شخصية فريد زيتوني الذي تعرض للعنف قبل الإرهاب من قبل رئيس المفرزة ، إذ اتهم بالسرقة جزافا دون تحقيق و دون تحر في الموضوع ،فما أن أتته الفرصة مواتية حتى سعى جاهدا ليرد ثأره ، وتصفية حساباته مع الطاغوت و معاونيه . "*وأقسمت مرارا و تكرارا ببراءتي ، لم أعد أسمع إلا صراخي و ضربات السوط تدوي على ظهري*" [1]. وهذا نوع آخر من صورة الارهابي الذي التحق بالجماعات الإرهابية بدافع الثّأر و الانتقام .

إن تعقيد الأزمة التي مرت بها الجزائر ، وتطور الأحداث بشكل دراماتيكي بعد توقيف المسار الانتخابي ، وتفاقم العنف بصورة وحشية و رهيبة ، تعددت معها صورة الارهابي ، وغالبا ما تشكلت هذه الصور ة تبعا لقناعات فكرية وإيديولوجية وقراءة خاصة لواقع الحال ، فالإرهابي في أغلب المتون الروائية تشكل من كل أطياف المجتمع مرة ضحية و مرة أخرى جلاد ، وقد لعبت الظروف المزرية التي مر بها المجتمع إلى انهيار تام في سلم القيم . "*وهذه الشخصيات على تنوع مساراتها فهي تشترك في الزي و الشكل الظاهري ، وبالمرجعية الدينية منهم من هو مؤمن بها و منهم من يتلفظ بها تلفظا ، كذلك منهم من هو معدوم المنطق و التفكير ...*" [2]

فالمرجعية الدينية شكلت محفزا من محفزات العنف ، و العنف لا ينتج إلا عنفا مضادا .ومجموعة المتون الروائية الجزائرية لا تخلو من صورة لصور المتطرف ذو المرجعية الدينية اقتناعا أو إتباعا .

وبعيدا عن هذا وذاك يعرض محمد ساري في * الورم * صورة أخرى للإرهابي ، تتجلى في ذلك المتطرف السيكو بآتي ، الذي يتصرف دون تخطيط مسبق وباندفاعية تمنعه من التدبر و تمثلت في شخصية

* يزيد لحرش * الذي يتصرف بتعسف وبارتجال .

[1] - محمد ساري *رواية الورم * ص 31

[2] - د سعاد عبد الله * صور العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة ص

صورة أخرى يعرضها الروائي خيري بلخير في" **نخلة الوجع** "في مشهد عرض رسالة التخرج لصديقهم أسامة ، فيذكر بالحادثة التي وقعت بينه وبين رئيس لجنة التحكيم *" ولكن رئيس لجنة التحكيم هو الدكتور شروف الحلوف ، تذكر ماذا حدث بيني و بينه منذ عامين ، حين وجدته يساوم إحدى الطالبات .....و اليوم لا أعرف لماذا أخشاه" .*[1] *وكانت نتيجة هذا التوجس أن رفض الدكتور شروف الرسالة "نأسف للمجهودات التي بذلها الطالب ، و يرجى إعادة دراسة الرسالة من جديد ، لأنها لم ترق الى الموضوع و جوهره"*[2] *. هذه الحادثة بالإضافة إلى الحياة البائسة التي كان يعيشها أسامة في حي السلام ، كانت سببا في التحاقه بالإرهاب ، وهذه صورة أخرى من صور الإرهابي الضحية ، ضحية المجتمع و الظروف القاسية التي عاشها في حي السلام أحد الأحياء الخلفية في المدينة الصاخبة. .*

[1] - رواية نخلة الوجع ص 186

[2] - الرواية نفسها ص193

الفصل الثاني

متخيل العنف في نخلة الوجع

1- دلالات العنوان :

العنوان هو عتبة نصية أساسية ، وهو البوابة التي يقتحم من خلالها القارئ النص و يمارس العنوان وظيفة إغرائية على القارئ و يثير فضوله.

"تشكل العتبة العنوانية صناعة قصديه ، وعملية تواصلية يبلغ صداها إلى داخل النص وخارجه ،أي أنها رسالة أيقونية مشفرة هادفة إلى استفزاز القارئ أو المتلقي ولفت انتباهه و التأثير فيه بالدرجة الأولى " [1]

العنوان هو أداة الجذب الأولى التي تستهوي القارئ .وتمييز العمل الروائي عن غيره وفي كثير من الأحيان ما يقدم العنوان تلميحا أو إشارة واضحة أو ضمنية إلى الموضوع الرئيسي الذي تتناوله الرواية . ويعمل على استقطاب القارئ ويثير فضوله ورغبته في معرفة المزيد عن العمل .

يحمل عنوان رواية نخلة الوجع للروائي خيري بلخير .دلالات غنية و متعددة تتشابك و تتداخل لتكشف عن جوهر العمل ومكنوناته حيث انه يشير إلى طبيعة الرواية وإحداثها المحتملة فهو يذهب بالقارئ إلى عالم يمزج بين الأصالة و الألم و الصمود و المعاناة و يدعو الإنسان إلى مواجهة الوجع والألم بالمقاومة و الصمود و التمسك بجذوره من خلال قوته الداخلية.

أ – نخلة : فكلمة نخلة كعلامة سيميائية .أو كدال لها عدة مدلولات .

- **الدال:** نخلة كلمة مكتوبة أو منطوقة تستدعي صورة ذهنية لشجرة النخيل.
- **المدلول :** الذاكرة الجمعية العربية و الصحراوية بالخصوص تحتفظ بمدلولات متعددة و رمزية للنخلة منها على وجه الخصوص .
- **الارتباط بالأرض :** هي رمز الأصالة و التجذر حيث تضرب بجذورها عميقا في الأرض و تتشبث بها
- **المقاومة و الصبر:** معروف على النخلة قدرتها على تحمل الظروف القاسية والصعبة

[1] عن عبد الحق بلعابد ،"عتبات جيرار جينيت ، "من النص إلى المناص" ، منشورات الاختلاف ، ط1 ،2008 ،ص73

- **الإنتماء:** ارتبطت النخلة بالعروبة دائما وهي جزء من المشهد الثقافي و التراثي العربي .

- **رمز للحياة و الخصوبة و العطاء:** رغم أنها شجرة معمرة ورغم الظروف الطبيعية الصعبة إلا أنها تطرح غذاء فيه بركة وخير كثير – التمر –

ب - الوجع : كلمة وجع تحمل في طياتها إحساسا عميقا بالألم الذي ينم عن جرح غائر يترك أثرا عميقا لا يندمل بسهولة .

ولكلمة الوجع في الرواية دلالات نفسية وروحية كالحزن و الأسى و الحسرة . وليس الوجع جسديا دائما وما استعمال الكاتب لكلمة الوجع دون تخصيص وغير محددة بنوع معين من الألم ،إلا لأنه يريد أن يعبر عن أوجاع متعددة .جسدية و نفسية و اجتماعية داخلية و خارجية كانت هي السبب الرئيس في تحريك الأحداث داخل الرواية .

ج - العلاقة بين النخلة و الوجع :

و المتأمل في العنوان يلاحظ انه يتكون من كلمتين هما (نخلة و الوجع)و هي علامة سيميائية مركبة ذات دلالات متناقضة و متجانسة في أن واحد.

و قد يعني ان الوجع متأصل و متجذر وثابت .وهذا هو وجه الشبه بينه وبين النخلة الثابتة و التي قد ترمز للشخص أو المكان أو لفكرة ما . أي بمعنى أن الوجع عميق في حياة الشخصيات أو في طبيعة المكان أو الفكرة التي تمثلها النخلة .

ومن قراءاتنا هذه لدلالات العنوان نستشف انه يدعو إلى الصمود في وجه الوجع فهو يشير الى صراع بين قوة النخلة وصمودها و تأثير الوجع .

و العنوان يوحي بعمل أدبي يبحث في أعماق المعاناة الإنسانية و الجذور العميقة للألم في سياق جمعي او شخصي مرتبط بالأرض و الإنسان معا .

2 – المتخيل في نخلة الوجع

المتخيل من المفاهيم التي مازال ينتابها الالتباس. وتتقاطع فيه حقول معرفية كثيرة .بحيث يتسع الحكم الدلالي في اللغة العربية إلى عدة مجاورات للمتخيل .

ويرى محمد معتصم في تقديم كتابه ***المتخيل المختلف" إن خطاب الأزمة ...هو ناتج عن تصادم بين خطابين متناقضين . خطاب يدافع عن ما يسميه الثقافة السائدة أو ما أطلق عليه اسم –المتخيل المضلل – وخطاب ينتقد السابق ويرفضه ويدافع عما يراه ثقافة حقيقية ويسميه –المتخيل المختلف"*** [1]

فتعدد مستويات الوعي و التخييل الفردي يؤدي إلى إثراء العمل الأدبي ويضفي عليه عمقا وتعقيدا

وفي سياق *نخلة الوجع* يمكننا أن نرى تجليات تعدد المتخيل من خلال تداخل و تفاعل مستويات مختلفة من المتخيل الديني و المتخيل السياسي و المتخيل و الفضاء .

2-1المتخيل الديني :

يظهر المتخيل الديني قي الرواية الجزائرية في التسعينيات بشكل مكثف و متنوع متأثرا بالظروف الاجتماعية و السياسية و الأمنية الصعبة التي مرت بها الجزائر خلال ما يعرف بالأزمة

ولم يكن مجرد خلفية أو عنصر ثانوي ،بل أصبح جزءا أصيلا من عملية السرد .

حين تتبعنا للمتخيل الديني في الرواية . من المهم ان نميز بين المتخيل الديني و الدين نفسه كنسق من العقائد و الشرائع .

في رواية *نخلة الوجع * نستهل تتبع المتخيل الديني بدءا بالعنوان . فالنخلة لا تحضر كشجرة طبيعية فحسب، بل تتجاوز ذلك لتكتسب دلالات رمزية عميقة تتشابك مع المتخيل الديني. ويمكن أن يتجلى هذا التشابك في كون النخلة شجرة من أشجار الجنة . وقد ذكرت في القرءان و السنة النبوية **(هزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا**

[1]محمد معتصم – المتخيل المختلف *دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة ص 15

جنيا ....) وهذا وحده كفيل بأن يحيطها بهالة من القداسة ،لذا ترى بأن الكاتب اختار هذه الشجرة بالذات لأصالتها وارتباطها بالأرض . وكونها شجرة لا تطرح ثمارها إلا في محيطها .

نلاحظ من الوهلة الأولى أن المتخيل الديني تجلى من بداية الرواية حيث يقول الكاتب *ضمت أمي عبد الله إلى صدرها الدافئ . فقبلت جبهته .ثم قربت صفحت وجهه اليمنى من فمها وبدأت تؤذن الله أكبر...الله أكبر. سرت في جسدي قشعريرة فاضت معها عيني من الدمع *[1]

القشعريرة و الدمع و الأذان في أذن الصبي لم تكن لحظة عابرة أو مشهدا منقطع .بل هو لحظة مشحونة بالدلالات الروحية و العاطفية وقد تكون تذكير بالمسؤولية التي تتحملها الأم في غياب الأب .

ومرجعية الأذان في أذن الصبي ،يحدد هويته الدينية و هو تحصين للطفل وبأنه ولد على فطرة الإسلام .

وكلمات التوحيد التي سيسمعها الطفل ، ستكون أول اتصال صوتي بينه وبين العالم الخارجي .

و في نفس الصفحة تصادفنا هذه الجملة ***وقد أعطاني هدية لا ترد أبدا المصحف الشريف . وكم كانت مفاجأتي كبيرة حين قال لي : المصحف أمانة .***

لمن يا الحاج

لعبد الله علمه منذ صغره ما لم يتعلمه أبوه وجده والعرب أجمعون .[2]

إن الصورة الذهنية للمصحف في مخيال الكاتب تتعدى كونه كتاب بل هو صاحب السلطة المطلقة التي لا تناقش وينظر إليه على انه مصدر الهداية و اليقين وتعظيمه منذ بداية الرواية و وصفه بأنه أمانة يجب الحفاظ عليها ، ربما سنكتشف عواقب تضييعها فيما بعد .

[1] خيري بلخير * رواية نخلة الوجع * منشورات ليجوند للطباعة و النشر 2029ص 07

[2] المرجع نفسه الصفحة 07

من خلال تصفحنا للرواية و تتبعنا لأحداثها . حتى تلك التي يستعمل فيها الكاتب تقنية الاسترجاع . ويلجأ فيها لخزان الذاكرة .نلاحظ ان الشخصية الرئيسية في الرواية و هي شخصية نذير وكأنها تعيش داخل الأسوار العالية للوازع الديني فلا هي أعلنت رفضها لهذا الواقع ولا هي رضيت به و استسلمت ومن الأمثلة على ذلك ..* *وكم انتشي حين يعلمني بين ساعات جدنا و عبثنا كلمات بالقبائلية .وأول مفردة تعلمتها هي –ثلل- وتعني الحرية .* [1]

يتوق السارد للحرية ، وربما يعود ذلك لتمسكه بالثوابت التي تربى عليها وهو يراها اليوم تتلاشى أمام عينيه ، أمام التغيرات التي طرأت على المجتمع ، وحالة الانفتاح الغير مسبوق .

ثم بعد ذلك نرى كيف يصف لنا الكاتب على لسان نذير . الشيخ الذي يعلم الأطفال القرءان في الكتاتيب فيقول* ..*شيخ يزحف نحوي فتوجست خيفة . وللمت كل شجاعتي وعطفت بصري نحوه فاقشعر جلدي لما رأيت شيخي*- السي الحسين* يزحف على يديه و جسمه فوق الأرض. كأنه يمارس اليوقا . أبدا لم أتصور شكله بدون رجليه الاصطناعيتين . أبدا لم يستوعب قلبي هذا الجن وأنا في الحمام ...*** [2]

إن هذه الصورة المرسومة للشيخ معلم القرءان و الذي هو في الذاكرة الجمعية مبجل وذو مكانة . تطغى عليها صورة ذهنية أخرى وهي النقصان .

هذا التناقض الصارخ الذي يؤرق الكاتب و يريد أن يعبر عنه دونما إفصاح . فهو لا يريد ان يعلن التمرد ولا يريد أن يعلم الناس انه يتمرد .

ليس النقصان في جسد الشيخ بل في رمزيته في المخيال الجمعي ، فهو المقدم دائما وهو صاحب الرأي السديد ، وصاحب المشورة ، وهو الذي يستفتى وقت الخلاف . وها هو الخلاف ينخر جسد المجتمع ، فأين رأيي الشيخ السديد ؟

[1] رواية نخلة الوجع ص 11

[2] الرواية ص 68/67

ثم يعود السارد مرة أخرى في حوار بين نذير و أخوه الصغير ليقول :

هل صحيح سيدي الحسين ليسن له أقدام

فأجيبه في فتور: - بلى ولكن له أقدام صناعية .

وهل يملك ذنب بقرة يشعل النارفي الجسد

فأطمئنه حتى و ان تراءى لي ذلك السوط و جبروت سيدنا

من قال لك هذا الكلام . سيدنا *لا يضرب إلا أولائك العابثون الذين لا يحفظون .*[1]

وإن تعددت أسباب الأزمة التي عصفت بالبلاد فالظاهر أنه سياسي في ثوب ديني انعكس على الجوانب الأخرى من حياة الناس ، فلم يعودوا يفرقوا بين الصالح و الطالح ولا بين الحق و الباطل ، فباب الاستسلام هو سيد الموقف ." ***عسى أن تكرهوا شيئا و هو خيرلكم"*** [2]

لم يستعمل السارد هذه الآية عبثا دون غيرها ،إنما لأنها حالة أجبر الناس على أن يجدوا أنفسهم فيها دونما اختيار منهم . وينتظرون ساعة الفرج .

يقول "***موريس غودلييه" إن التخييل هو ذلك الذي يمكننا من إعادة عيش ماض مجد ،لكنه لم يعد موجودا الآن"*** [3]

عندما يصاب الإنسان بالتيه في هذه الحياة ، ويفقد البوصلة ولا يتمكن من تحديد المنطقة التي يجب أن يقف عليها ، يشده الحنين إلى الماضي المجيد والذي لم يعد موجود ،فعملية التخييل ما هي إلا تذكر للأزمنة التي تحظى بالتقدير .

كان رشيد وهو احد شخوص الرواية قد رسم حصانا عربيا أصيلا في الغرفة وقد تعمد رسمه قرب خريطة الوطن العربي وكأنه ينتظر فارسا يأتيه من داخله.

"آخ يا زمن وألف آخ ،فأين أنت يا صلاح الدين وهل عجزت النساء إن تلد مثلك[4]"

[1] نخلة الوجع ص 71

[2] الرواية ص15

[3] د كرايس الجيلالي و د بوزيدي الهواري* العمل السياسي في المتخيل الديني السلفي * مجلة آفاق فكرية ص 314

[4] رواية نخلة الوجع ص25

ثم يواصل :

**** كان الحصان العربي الأصيل سجينا في إطاره ينتظر صلاح الدين يأتيه من زمن غير زماننا ، ومن خريطة لا نسكنها ، ولو أني احلم به بيننا ، يأكل مثلنا ، ويصلي مثلنا ولكنه أبدا لا يفكر مثلنا ، يحضر جيشه ويصقل سيفه ، ثم ينادي فينا ملء السماء الله أكبر الله أكبر .*[1]***

استدعاء صلاح الدين في سياق المتخيل الديني ، ظاهرة لها دلالات عميقة ، بالإضافة إلى كونه شخصية تمثل القوة و العدالة و التحرر فهو من جمع شتات المسلمين ، والمجتمع في هذه الفترة يشهد تشرذم و اختلاف وهو بحاجة إلى رجل مثل صلاح الدين يزرع فيه الأمل من جديد فالسارد من خلال استدعاء هذه الشخصية الأسطورية إنما يريد أن يخلق عوالم روائية مشوقة و مثيرة وتحمل قيما دينية .

كما يظهر المتخيل الديني في الرواية من خلال التناص مع عدة آيات نورد منها على سبيل المثال " *هزي راسي ، فتسّاقط مني دموع الوجع* "[2]

في الجملة تناص مع الآية الكريمة في سورة مريم " *هزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا*[3]*** كأن الحالة مشابهة ،بعد المعاناة يأتي الفرج –يسر بعد عسر -

2.2المتخيل و الو اقع :

لقد امتزج الواقع بمرارته وأوجاعه بالمتخيل في الرواية الجزائرية في فترة التسعينيات مما دفع بالروائيين إلى معالجته بكل آلامه ومشاهده العنيفة ، و اللجوء إلى المتخيل أحيانا أخرى في محاولة لفهمه و تجاوزه .

و الروائي خيري بلخير واحد من الروائيين الجزائريين الذين عاصروا فترة العشرية السوداء واكتوى بنارها كما اكتوى غيره . لذا تبدو الرواية أقرب إلى السيرة الذاتية بأحداثها وشخصياتها وفضاءاتها .

---

[1] المرجع نفسه ص27

[2] المرجع نفسه ص 89

[3] سورة مريم الآية 24

" فالتخييل في صورته الجوانية أو البرانية يمكنه ان يعبر الى التاريخي ويستعين به ..وهو ينتج تخييلا يبحث دائما في ماضيه ، وفي الوقائع التي تحيط به ،فتخييله نابع مما يعتقد انه يعلمه ويعرفه ."[1]

حضور الكاتب في النص السردي قد يكون نابعا من كونه عاصر الفترة الزمنية التي وقعت فيها أحداث الرواية ، وكغيره من الكتاب لم يستطع أن يبتعد عن معاناة شعبه لذا جاء المتخيل السردي في رواية نخلة الوجع مكملا للواقع ، والعنف كان سيد المشهد وطغى على المشهد الأدبي برمته ، ***"يسمح للرواية أن تعكس الواقع من خلال إعادة إنتاجه في صورة فنية ، فالرواية لا تكتفي بتسجيل الواقع كما هو ، بل تسعى الى فهمه وتفسيره ، والكشف عن تناقضاته صراعاته ..[2]***

فالسارد في رواية نخلة الوجع ،وفي ظل قسوة الواقع حاول الهروب إلى الذات و إلى عالم شخصياته و مشاعرهم ، ليعبر عن مكبوتاته ، ويخرج مخزون الحزن الذي بداخله .

ومن خلال الأحداث نلاحظ أن الواقع قدم خدمة أو كان في خدمة المتخيل السردي . بل شكل المادة الخام الأساسية للمتخيل ولم يكتفي الكاتب بسرد الواقع داخل الجامعة ، أو قساوة الحياة خارج أسوار الجامعة أو في حي السلام أو عنف الإرهاب عبر الطرقات و الجبال . فلم تكن الرواية عبارة عن محاكاة أو انعكاس لأحداث واقعية ، بل هي إعادة تشكيل لهذا الواقع ، وصبه في قوالب متخيلة ، تسمح بمساءلته وإعادة قراءته ، فالوجع في نخلة الوجع ليس فرديا بل وجع جماعي يتجسد في تفاصيل الواقع اليومي لشخوص الرواية بدءا من السارد ذاته .

لم يكتفي الروائي خيري بلخير بتصوير الواقع الأليم و المعاناة المستمرة ، بل تجاوزه ليطرح أسئلة أرقت الجميع ،أسئلة وجودية من خلال المتخيل ، أسئلة تبحث عن الذات بعد الضياع تبحث عن الهوية بعد التمزق .

[1] د سعد جبار * من السردية إلى التخيلية *منشورات الاختلاف ط 1 ص 70

[2] د ربوح ح السعدية و د ن مسعود *المتخيل السردي وآفاق الكتابة الروائية السردية *مجلد 11 ع 4 ص 275

النخلة كشجرة لا تبرح مكانها ، ولكن الروائي في نخلة الوجع نقلها من المنسية إلى ساحات الحرم الجامعي في محاولة للصمود أمام رياح التغيير العاتية التي قلبت الموازين يريد أن يقول بأنه سينقل مبادئه و ثوابته و جذوره معه حيثما حل و ارتحل .

لم يقدم الروائي خيري بلخير رواية وثائقية ، بل قدم عملا فنيا يحمل معنى الحياة في زمن الموت .

حاول من خلال تنويع شخوص الرواية أن يختزل تركيبة المجتمع الجزائري . من خلال وجود شخصيات تنتمي لعدة مناطق من الوطن ولكنها تتشارك مع بعضها البعض في المعاناة و الخوف .

بالعودة إلى مشهد رفض مذكرة الطالب أسامة الذي بذل جهدا فيها وتحضيرات مضنية من زملائه وما تلي ذلك من أحداث ، دفعت به إلى الالتحاق بالجبل ، نقرأ عبر المتخيل بعض الأسباب التي دفعت للعنف وكانت تغذي الإرهاب في العشرية السوداء .

ورد في الرواية لفظ " **الكرتونة** "[1]وهي كناية عن الشهادة الجامعية ، ولم يتفق الطلبة في الرواية على تسميتها بهذا الإسم ، إلا لأن لها في الواقع ما يبررها ، فحملة الشهادات الجامعية آنذاك كان مصيرهم مجهول في ظل الانغلاق الذي كان يشهده سوق العمل في الجزائر ، وفي ظل الأوضاع المتردية بعد غلق المؤسسات و حرق المدارس و التدهور الاقتصادي الذي شهدته البلاد ومعظم الذين أسعفهم الحظ و وجدوا عملا لم يكن يتوافق وكفاءاتهم العلمية ولا أدل على ذلك ما قاله بطل روايتنا " **نذير : وهكذا اعتنقت التجارة ،و قفزت على أطلال الكتب و المجلات** "[2]

بهذا يمكن القول بان رواية نخلة الوجع وظفت المتخيل لإعادة بناء الواقع وتأويله لتقدم رؤى فكرية وجمالية خاصة، مما يسمح للقارئ بتتبع نفسية الشخصيات و كيفية تعايشها مع واقعها المليء بالقضايا المعقدة .

[1]الرواية ص 9

[2]لرواية ص246

تقدم الرواية عبر المتخيل قراءة في الصراع الحقيقي للفرد داخل المجتمع و للفرد مع ذاته ، أي الصراع الداخلي الذي يعيشه في أعماقه و في محيطه .

كما استطاعت أن تعرض بعض القضايا المسكوت عنها في المجتمع و التي كانت أحيانا نتائج للأزمة وأحيانا أخرى سببا لها .

هي إذا أكثر من كونها توثيقا للازمة ، بل أصبحت فضاء للتأمل العميق في طبيعة الإنسان و الواقع .

3.2 المتخيل و الفضاء :

"يفيد مفهوم الفضاء الروائي بعدي المكان والزمان في الخطاب الروائي ، وهما معا مكونان أساسيان يقوم عليهما العمل الروائي ، فالأحداث و الشخصيات رغم أهميتهما وضرورتهما في كثير من الأحيان تحتاجان إلى فضاء إلى مكان تجري فيه الوقائع والأحداث وتتشكل فيه أبعاد الشخصية الروائية ،وإلى زمان يحدد طبيعة الشخصية وسلوكها قولا وفعلا"[1]

الفضاء هو الحيز المكاني و الزماني الذي ينبغي أن يكون جزءا من واقع الشخصيات المحركة لأحداث الرواية حسبما يقتضيه التخييل الروائي .

إن مفهوم الفضاء قد يكون أوسع واشمل من مفهوم المكان ، أو الموقع الجغرافي الذي تدور فيه الأحداث مثل (المدينة ، أحياء الصفيح ، المقهى أو الحي الجامعي أو المسجد ..)بل يتعدى ذلك إلى مكونات الرواية الأخرى ، مثل الشخصيات ، والحوار أو اللغة المستعملة في الخطاب السري ، إذ العلاقة الترابطية و التكاملية ، التي تكون بين الفضاء و الشخصيات تحددها الصورة الذهنية لمتخيل الفضاء .

[1] محمد معتصم *المتخيل المختلف دراسة تأويلية في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات الاختلاف ط 1 ص 50

"المكان في العمل الإبداعي مسرحا للأحداث على اعتبار أنه قوة فعالة مؤثرة في حياة الشخوص ، وقد يكون وصف الموضع مسهبا في تفصيله ، .. فالمكان الروائي لا يطابق المكان الطبيعي ، بل يقاربه" [1]

كما هو الحال في الرواية التي بين أيدينا * نخلة الوجع لخيري بلخير فالسارد عدد الفضاء بحسب تعدد الأحداث ، فالمكان يحتل موقعا مهما في تشكيل الحدث ولا يمكن أن ينشأ إلا باختراق الشخصيات له .

تأخذ الجامعة كفضاء مفتوح حيزا كبيرا في تحريك أحداث الرواية ، فالسارد في الرواية يرى بان الجامعة أنسب مكان يمكن أن يحتوي بصدق تلك التفاعلات و التناقضات ، و تتشكل فيه المتخيلات الفردية و الجماعية وتعاد صياغتها من جديد كلما تطلب الأمر ذلك .

فالصورة الذهنية للجامعة في مخيال السارد لا تقتصر كونها مكان للعلم و المعرفة فحسب ، بل هي صورة مصغرة للفضاء الخارجي بكل تناقضاته . وهذا التعدد له أكثر من وظيفة جمالية فالسارد يريد أن يعطي للمكان الحقيقي داخل الفضاء الروائي أبعادا جديدة و مثيرة .

عندما نقرأ داخل الرواية قول السارد على لسان إحدى الشخصيات و هو رشيد ***"الذي يبعث إبنته للجامعة يظلم نفسه"*** [2]

الجامعة هي فضاء للعلم و التكوين ، لكن هذه الجملة تقلب المتخيل رأسا على عقب فهي لا تتحدث عن الظلم المادي بقدر ما تكشف عن صراع بين تصورات مختلفة للجامعة ، بحيث تصبح فضاءا مرتبطا بفقدان القيم ، بخيبة أمل مرتبطة بتوقعات معينة ، فكلمة **" يظلم نفسه "** تعني أن الأب سيتخلى عن جزء من هذه القيم أو يتجاهلها إذ الأب في المتخيل الجمعي يمثل الحماية و التوجيه أو الحارس أو الرقيب على القيم وهو بهذا السلوك يتحمل نتيجة الضياع .

[1] حبيب مونسي "فلسفة المكان في الشعر العربي"منشورات دار الكتاب العربي .دمشق ط1 ص 7

[2] رواية نخلة الوجع * خيري بلخير * ص 17

ثم يواصل السارد الكشف عن المتخيل المختلف الذي تكشف عنه الصورة الذهنية المرسومة عن الجامعة بعد حوار فيه الكثير من الإزدراء و التأفف من الحالة التي تبدلت عليها ابنة عم رشيد.

- وعمك المسكين ما ذنبه ؟

- ذنبه أنه عمي و ابنته كريمة وسخت لقب العائلة، بل سمعة المنسية العذراء[1]" و في مقطع آخر.

"انظر إلى كريمة مثلا ، عندما تذهب إلى المنسية تتحول إلى نعجة ،ولكن عندما تأتي الى الجامعة تمسخ إلى نمرة لا تروض الا بالفلوس و السيارات الفخمة " [2].

المتخيل السردي هنا ، يتجاوز الواقع ويكشف عن حالة التيه و الصراع الداخلي بين القبول و الرفض للوضع الجديد الذي زادت فيه مساحة الحريات و الإنفتاح وبين صوت داخلي يرفض ذلك ويدعو إلى التمسك بالقيم و المفاهيم الأولى وبين واقع يفرض نفسه .

فكريمة هنا ليست حالة مادية بقدر ما هي حالة التشرذم و الضياع ولا استقرار التي أصبح يعيشها المجتمع في ظل التغيرات و التجاذبات الحاصلة .

ونحن نتحدث عن المتخيل و الفضاء في رواية نخلة الوجع لابد أن نتحدث عن الأحياء الخلفية ***" ماذا تفعل الآن يا أسامة ؟ ووجعك سيذيب صفيح هذه البيوتات المسوّسة ."*** [3]

هاته الأحياء التي أوردها الكاتب في الرواية ، والصق بعض شخصياته بها (أسامة وعائلته) . ليست مجرد أماكن يعشش فيها الفقر و الحرمان . و الطالب الجامعي المكافح الذي يعمل في مصنع المشروبات هو كذلك فنان و حسه مرهف وهو الذي يدخل الفرحة و البهجة على أصدقائه كلما حل بينهم ، بل ينتظرون قدومه بفارغ الصبر ، ينتهي به المطاف إرهابي في الجبل ، وهو الذي ترعرع في حي السلام .

[1] رواية نخلة الوجع * خيري بلخير * ص 18

[2] رواية نخلة الوجع * خيري بلخير * ص 23

[3] رواية نخلة الوجع * خيري بلخير * ص 196

-كنت أغني حتى تهدأ ثورتي : ولكن منذ هذه اللحظة .....

-لم يكمل العبارة[1].

من خلال فضاء الأحداث ينقل الروائي الأسئلة الكثيرة التي تدور بخلده إلى القارئ .

من .....؟و متى ..... ؟ وكيف..... ؟....

أ سئلة كثيرة تنقل عبر متخل الفضاء من السارد إلى القارئ عله يقدم لمحات عن الجوانب الغير مرئية للمجتمع ،تلك الثقوب السوداء التي تم تجاهلها تحوي في جنباتها الحياة بكل متناقضاتها وتكشف عن فهمنا للحدود المتصورة للهامش .

4.2 المتخيل و الموضوعات :

تطرقنا فيما سبق إلى المتخيل و الواقع اللذين شكلا معا موردا أساسيا .للرواية الجزائرية المعاصرة .

ولاحظنا ان الرواية الجزائرية واكبت تحولات الواقع الجزائري في مختلف مراحله ***" فقد كان الإبداع الروائي الجزائري المكتوب بالعربية دوما وليد تحولات الواقع الجزائري زمن الاستقلال ، ومنه يستمد أسئلة متنه الحكائي ، وبسببه يبحث عن الأشكال والأبنية الفنية القادرة على استيعاب اشكالياته المتجددة وصياغة المواقف الفكرية والأيديولوجية إزاءها"*** [2]

و فترة التسعينات جاءت مادة خصبة للعمل الروائي ،الذي حاول أصحابه ربطه بالواقع ، وإعطاء قراءة مغايرة للواقعة ، عن طريق المتخيل السردي .

و إن كان العنف و الإرهاب هو الغالب على المشهد الروائي ، إلا أن طريقة التناول عبر التنوع الموضوعاتي تختلف من روائي إلى آخر . وذلك حسب زاوية الرؤيا التي تحكمها المواقف الفكرية و القناعات الإيديولوجية .

[1] رواية نخلة الوجع * خيري بلخير * ص 197

[2] بوشوشة بن جمعة *التجريب وحداثة السردية العربية الجزائرية المطبعة المغاربية للطباعة و النشر .تونس ط 1 ص 08

ولم يغرد صاحبنا خارج السرب ، في * نخلة الوجع * بل سار أو يكاد على نهج سابقيه في الإشارة المباشرة أحيانا و الضمنية أحيانا أخرى إلى مواضيع باتت تؤرق المثقف و المهتم بالدرجة الأولى منها :

أ - الهوية و الانتماء : تتجلى في الرواية بدءا بالعنوان فالنخلة رمز من رموز هذه الأرض الطيبة التي أصابتها الأوجاع ، وقد ربط السارد النخلة بمحبوبته *فاطمة * في مسقط رأسه ثم نقلها معه عندما رحل إلى الجامعة .إن عملية النقل هذه ليست مصادفة ، إذا ما سلمنا أن النخلة رمز مكان و أنثى.

و الجامعة تمثل رمز للحداثة و الانفتاح و المستقبل ، فالسارد يشير الى ضرورة التمسك بالجدر وعدم الانفصال عنه ولو في فضاء جديد .

و تصادفنا في الرواية هذا الحوار الذي دار بين *صطة وبين رشيد :

- آه يا فرنسا الكل يحلم بك ، سآتيك ولو حرقا .

- عاد صطة إلى عادته القديمة و بصوت فيه عنف و عتاب لرشيد وقال له :

- تكلم على نفسك أنا أحلم ببلادي وفقط و هنا يموت قاسي*[1]

فالجملة تتحدث على نفسها ، إنما أوردها السارد ، ليبرز أن الإنسان يجب أن يظهر انتماءه وقت الشدة و الضيق .

تعمد الروائي خيري بلخير أن يظهر من أين تنحدر شخصيات الرواية ، ورابط الصداقة الذي يربط نذير و آكلي وأسامة والمجموعة كاملة رغم انتمائهم لمناطق مختلفة من الوطن إلا أنهم يعيشون نفس الظروف ونفس المعاناة ، يفرحون معا ويحزنون معا و مصيرهم واحد وما يجمعهم أكثر مما يفرقهم .

[1] الرواية *نخلة الوجع * ص 16

فالبنـاء السـردي لعلاقـات الصـداقة في الروايـة يتجـاوز الفـرو قـات الجغرافيـة ، ليسـهم في تشـكيل متخيـل خـاص للهويـة و الإنتمـاء في وطـن جـريح يتقاسـمون فيـه الألـم و الـدم ويأملون معا في غد أفضل .

ب – العنــف و الإرهــاب : تناولـت الروايـة الجزائريـة ظـاهرة العنـف و الإرهـاب مـن زوايـا متعـددة . عاكسـة بـذلك تعقيـدات الواقـع بتجاذباتـه السياسـية و الإيديولوجيـة المركبـة التي أثـرت علـى الفـرد و المجتمـع ،إلا أن الروائـي خيـري بلخيـر ، ركـز في روايـة نخلـة الوجـع علـى إبـراز معانـاة شخصـيات الروايـة مـن العنـف و الإرهـاب وكيـف يـؤدي إلى تحـولات عميقـة في الـنفس البشـرية و انعكاسـاته علـى العلاقـات الإنسـانية و الأسـرية ، متجنبـا أن يهـتم بسـرد الأفعال بدقة .بقدر ما ركز على سرد معاناة الشخصيات كضحايا .

ج -الذاكرة و النسيان :

إن مخـزون الـذاكرة مـن الأحـداث و الوقـائع و المشـاعر و الصـور ، يعـد رافـدا مهمـا مـن روافـد المتخيـل التي يبني عليهـا عوالمـه ، اعتمـد السـارد عمليـة ا لاسـترجاع المـؤلم لـبعض الـذكريات في محاولـة منـه لـربط الماضـي بالحاضـر وخلـق زمـن خطـي متواصـل أو كمـا قـال "***لملمـت أفكـاري القديمـة ، ومـا جـد منهـا هـذا الصـباح***[1]" تـوحي هـذه العبـارة برتابـة الحيـاة و الضجر من الروتين القاتل كأن لا فرق بين اليوم و الأمس .

جـاء المـتن السـردي في الروايـة متكـأ علـى الفعـل الماضـي في كثيـر مـن الأحيـان***" كنـت مراهقـا مرهـف الحـس وسـريع الالتهـاب فيحـرق بعضـي بعضـي"*** [2] وفي قولـه " **زمـان كنـت أعتقـد أن عيـون قطتي الاسـبانية بخضـرتها و دلالهـا** "[3] فـالخط الزمني السـردي في الروايـة يعتمـد تقنيـة الاسـترجاع ليـربط خـط المـتن السـردي بعضـه بـبعض ، وذلـك مـن خـلال ذاكـرة السـارد نفسـه وأحيانـا أخـرى باسـتفزاز ذاكـرة شـخوص الروايـة كـذاكرة أمـه أو ذاكـرة عمي قـادة أحيانـا . "***وكنـت فـد سـمعت مـن الحـاج علـي أن عمي***

[1] رواية نخلة الوجع ص 38

[2] رواية نخلة الوجع ص 40

[3] رواية نخلة الوجع ص 41

قادة عذب بالكهرباء ، ولهذا شيء بداخلي يؤنبني ، فلماذا لا أشاركه الذاكرة والوجع والأنين " [1]

فمحاولة مشاركة عمي قادة أنينه ووجعه إنما هي لعقد مقارنة بين آلام الماضي و الحاضر ، بين ما عاشته الجزائر بالأمس وبين ما تعيشه اليوم ، فاستدعاء الذاكرة هنا يضفي على المتن السردي من خلال المتخيل السردي جمالية و تفاعلية يستهدفها الراوي يبقيها حية في نظر القارئ .

[1] رواية نخلة الوجع ص 78

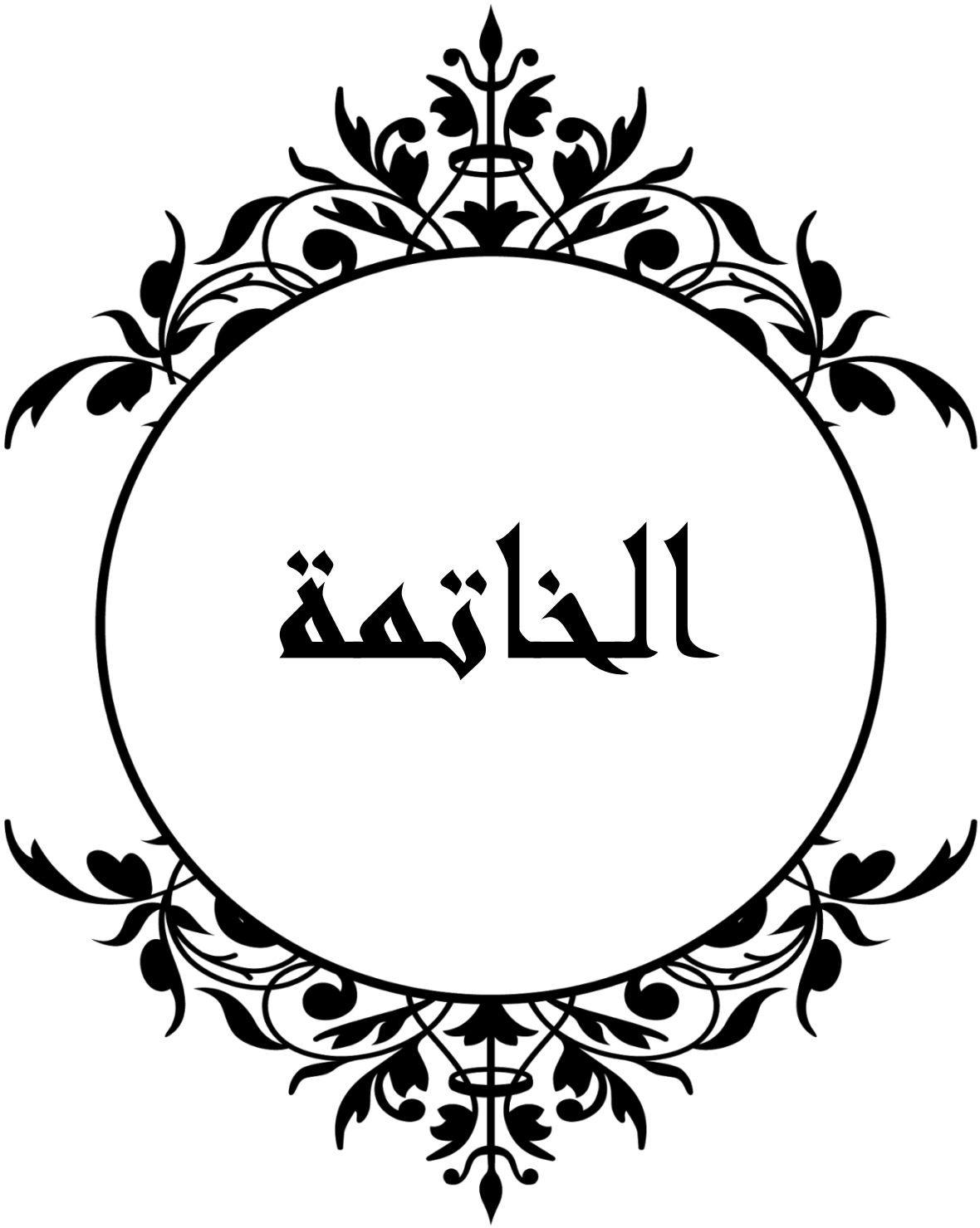
الخاتمة

وفي ختام بحثنا هذا نخلص إلى جملة من الملاحظات التي نكون قد استقيناها من خلال هذه التجربة المتواضعة التي قادتنا إلى أن نسير في طريق تبدوا نهايته كالسراب كلما اقتربت منه زاد منك بعدا .

إذ الرواية فن متجدد يساير حركية الحياة اللامتناهية . أو كأنها كوكب سابح في الفضاء لا يمكن أن يستقر على صورة واحدة ، مما يجعل المتخيل السردي يواكبها في هذه الحركية الدائمة و يدفعنا إلى القول انه يصعب تحديد مفهوم موحد للمتخيل ما دام الواقع الذي يرتكز عليه غير ثابت .

ولا أدل على ذلك الرواية الجزائرية في فترة التسعينات ، رغم أن المحفز كان واحد غير أن طريقة التناول اختلفت من روائي إلى آخر .

عرف المجتمع الجزائي نهاية الثمانينات وفترة التسعينات حركية مضطربة مست مختلف شرائحه ،تماشيا مع الإنفتاح السياسي و الخروج من نظام الحزب الواحد إلى التعددية الحزبية التي أدت إلى تفريخ الأحزاب السياسية بصورة متسارعة حتى بات للتيار الواحد عدة أحزاب ، أوجد هذا التطاحن السياسي فضاء خصب ترعرع فيه العنف و الإرهاب ، فانقلبت أوضاع البلاد رأسا على عقب وفي هذه الأوضاع وتماشيا معها سجلت الرواية الجزائرية حضورها فنقلت الواقع بكل تناقضاته من زوايا و برؤى مختلفة.

ورواية نخلة الوجع للروائي خيري بلخير هي واحدة من هذه الروايات التي حاولت ان تغوص في أعماق المجتمع وتنقل لنا صورة حقيقية أو أقرب إلى الحقيقة عن الظروف الصعبة و المأساوية التي خلفها ذلك الصراع الدموي الأعمى ، متكأ في ذلك على لغة أدبية بسيطة بعيدة عن التعقيد وعن المحسنات ، كما تميزت الرواية بتعدد الأصوات و تكسير الخط الزمني والذي ساعده في القفز بين الماضي و الحاضر دون خلخلة في المتن يستحضر الذاكرة أحيانا وسيتقي من التراث أحيانا أخرى في حدود ما يخدم النص ويشدّ انتباه القارئ ويضفي جمالية على السرد .

وقد تمكن الروائي أن ينقل لنا صورة واضحة ومتينة عن أواصر المحبة و الصداقة التي جمعت شخوص الرواية مع بعضهم البعض ، رغم الأحداث المأساوية و الأوضاع

المزريـة التي طغـت على المشـهد العـام داخـل الروايـة في إشـارة واضـحة ودعـوة صـريحة إلى ضـرورة التمسـك بمـا يجمـع كاسـتعماله لرمـز النخلـة او الاسـتعانة بالـذاكرة لتحفيـز القـارئ على التمسك بالحياة في ظل طغيان الموت .

و يبـدو أن الكاتـب مـن خـلال النهايـة السـعيدة التي خـتم بهـا الروايـة و التقـاء السـارد بفاطمـة مـرة أخـرى (النخلـة فـي الروايـة)أراد أن يكشـف عـن نظـرة استشـرافية لنهايـة الأحـداث المأسـاوية التي تمـر بهـا الـبلاد و أنـه مهمـا طـال الظـلام لابـد لشـمس الصـباح أن تبزغ مـرة ثانيـة و أن التـاريخ علمنـا أن لا ننكسـر أمـام الصـعاب ، بـل علينـا مواجهتهـا و الصـمود أمام الرياح العاتية لننهض مرة أخرى ،كما نهض الأولون رغم النكبات .

و نـود أن نشـير إلى أن الروايـة لـم تكشـف عـن أسـرارها بعـد ، ومـا تـزال حقـلا خصـبا للدراسـة و التحليـل العميـق ، وحتى الجانـب الـذي تناولنـاه بالدراسـة لـم نسـتوفه حقـه وربمـا نرجـع ذلـك إلى عـدم وجـود دراسـات أكاديميـة سـابقة للروايـة ، على حسـب علمنـا ، ممـا شـكل عائقا أمامنا (وهذا على سبيل الذكر لا التحجج) .

و في الأخيـر لا يسـعني إلا أن اقـو ل بأنـه رغـم الحركيـة التي تشـهدها العمليـة الإبداعيـة بولايـة النعامـة ، وبخاصـة في السـنوات الأخيـرة ، إلا أن الحركـة النقديـة تبقـى الغائـب الأكبـر إذ لا يخفـى علينـا الـدور الفعـال الـذي يلعبـه النقـد في تطـوير العمليـة الإبداعيـة عمومـا وعملية الكتابة خصوصا .

لـذا نـود أن نقـدم خـالص الشـكر لأسـاتذتنا الأفاضـل الـذين يوجهـون الطلبـة إلى هـذه الأعمال ،لعلها تكون فاتحة عهد جديد للحركة النقدية بمركزنا الجامعي.

الملاحق

التعريف بالكاتب

ملخـــــص الرواية

المصادر و المراجع

الفـــــــــهرس

1 - التعريف بالكاتب :

خيري بلخير . روائي جزائري من ولاية النعامة مدينة العين الصفراء بالضبط من مواليد 20 مارس 1976 .

خريج المدرسة العليا للأساتذة بسعيدة دفعة شهر جوان 1998 . تخصص كيمياء ، يعمل أستا> مميزا للعلوم الفيزيائية بمتوسطة الخوارزمي .

صدرت له روايتان

1 – نخلة الوجع 2009 عن دار ليجوند .

2 – نبوءات رايكا عن دار خيال .

ه>ه الأخيرة متوجة بالجائزة الكبرى آسيا جبار للرواية في سنة 2019

ويحظر حاليا لطبع روايتين جديدتين .

الأولى بعنوان قادة الصم . و الثانية بعنوان –كيوبانجو –

نا الروائي خيري بلخير عدة جوائز أخرى منها .

جائزة عبد الحميد بن هدوقة للقصة سنة 2006

جائزة القلم الذهبي للقصة 2009 و التي نظمتها دار الثقافة بالتنسيق مع الإذاعة .

2 - ملخص الرواية

يستهل الكاتب الرواية بالعودة إلى لحظة ولادة الطفل عبد الله ، وكيف عاد إليه مارد الكتابة معها إذ نلاحظ أن السرد يبدأ من الماضي في عملية تحضيرية للقارئ ليربطه بالراهن .

تبدأ الأحداث من الجامعة أو بالأحرى من الحي الجامعي البائس كما يصفه السارد فيصف الحياة داخله ، و يذكر خصوصية يوم الخميس بأنه يوم استثنائي خصص للسهر و العربدة و الترويح عن النفس ، وأنه يوم تجتمع فيه شلة الأصدقاء ، ويبدأ السارد في التعريف بشخوص الرواية واحدا واحدا كلما أتى على ذكره و يركز على الشخصيات الرئيسية و منها شخصية آكلي صديقه المقرب والذي سيكون فيما بعد ضحية من ضحايا الإرهاب ، و شخصية أسامة الذي يعيش حياة بائسة ويتعرض فيما بعد للظلم مما يضطره للالتحاق بالجماعات الإرهابية ،رغم انه شخصية هادئة محبة للموسيقى و الفن ، ومن خلال أحاديث الخميس الجانبية يقحم السارد شخصية محورية و هي شخصية فاطمة أو النخلة وهي محبوبة نذير (السارد) .

ومن الشخصيات التي نراها ثانوية ، وأقحمها الروائي خدمة للمتخيل السردي في الرواية شخصية كريمة العمشة ، والتي أراد أن يعبر من خلالها على حالة الضياع و التشرذم التي واكبت مرحلة الانفتاح أو حالة التمرد عن القيم و المبادئ و العادات و التقاليد التي نشأ عليها أهل المنسية ، تلك المدينة التي ينحدر منها بعض شخوص الرواية منهم كريمة العمشة و نذير و عبد الرحمان وغيرهم .

بالإضافة إلى شخصية كريمة العمشة هناك شخصية سعاد ذات الأنوثة الصارخة و التي تستهوي نذير وتمارس عليه الإغراء ولكن تمسكه بالنخلة رغم صدها له في بادئ الأمر يأبى عليه ان يبادلها نفس الشعور ، فينسحب في هدوء .

و استعمل الكاتب في الرواية تقنية الاسترجاع كثيرا من خلال القفز على الزمن ليربط الأحداث بعضها ببعض ويهيئ القارئ لما هو آت من أحداث ، كحديثه عن حي السلام وعن معاناة أم أسامة من المرض و الحالة النفسية المزرية التي تعيشها منذ أن وجدت إبنتها

مقتولة . يحضر الكاتب القارئ لتقبل صعود أسامة للجبل بعد أن ضغط الأستاذ شروف الحلوف -كما ورد إسمه في الرواية - على الزر لتفجير البركان الخامد في أعماق أسامة بعد أن رفض مذكرة تخرجه منتقما منه على موقف سلبي حدث له معه فيما سبق ، حينما كشفه وهو يساوم في فتاة .

ويواصل الكاتب في نقل سوداوية الصورة . فيما يشبه السيرة الذاتية وأن فاطمة قد عشش الإرهاب في قربتها . وأنها لم يعد بمقدورها الوفاء بوعدها و أنها ستتزوج أحد أقاربها وستسافر معه خارج الوطن وأن هذه الرسالة يتكون آخر عهدها به ، يتلقى نذير الرسالة وهو في الخدمة الوطنية مع صديقه آكلي الذي التقى به صدفة في نفس الثكنة ، فتتوالى مشاهد الألم و الحزن و المعاناة النفسية و الجسدية ، ليقع عليه مشهد استشهاد آكلي كالصاعقة التي فتت أشلاء الجسد المنهك أصلا ، لينقلنا إلى بداية المعاناة النفسية بعد مغادرته للثكنة العسكرية وفقد الحبيبين آكلي و فاطمة وهي مرحلة صعبة يوحي من خلالها الكاتب إلى ما وصلت إليه البلاد من انهيار شبه تام لولا قدرة الله التي رأفت بالعباد و البلاد ، ليختم الرواية بمشهد عكس سير الأحداث ، ينم عن الأمل الذي يجب أن نتمسك به عندما تشتد الصعاب حين أتاه الخبر من صديقه (صطة)كما يسميه ويمكن أن يكون تصغير لإسم مصطفى و الذي مفاده أن فاطمة لم تتزوج ولكنها مرت بظروف صعبة جعلتها تفضل أن تنسحب من حياتك ، وهي أن الإرهاب قد اختطفها وساقها إلى الجبل بعد أن أباد عائلتها ، و تمكنت من الهرب بعد أن هاجم الجيش معقل الإرهاب لتنتهي الرواية بزواج نذير بفاطمة .

3 - المصادروالمراجع

3 -1 المصادر:

1 0– خيري بلخير * رواية نخلة الوجع * منشورات ليجوند للطباعة و النشر - 2009 .

2 0– محمد ساري *رواية الورم * منشورات الإختلاف .ط . 1/ 2002 .

03– بشير مفتي* المراسم و الجنائز *منشورات الإختلاف .ط . 1 /1998 .

3 -2 المراجع :

01–آمنة بلعلى " المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف " دار الأمل .ط. 1/ 2006 .

02– محمد معتصم – المتخيل المختلف *دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة .ط. 2014/1.

03- مختاري سعاد " تيمة العنف في المتون الروائية الورم أنموذجا "مجلة تاريخ العلوم ج .تلمسان

04 – د. سعد جبار - من السردية الى التخيلية - منشورات الإختلاف دار الأمان. ط. 2013/1.

05 -سعاد عبد الله العنيزي *صور العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة .دار الفراشة. ط. 2010/1 .

06 – أرسطو ,فن الشعر , ترجمة عبد الرحمان بدوي , دار الثقافة بيروت –لبنان .ط. 3.

07 – لسان العرب : إبن منظور ج. 10/ 2010.

08 – د .علي عبود المحمودي *الفلسفة و الإرهاب –دار الأمان –ط. 1 .

09–حسن مودن* الرواية و التحليل النصي –الدار العربية للعلوم –منشورات الإختلاف . ط. 1 .

10–إبراهيم مصطفى وآخرون –المعجم الوسيط مادة –ر.و.ي المكتبة الإسلامية إسطنبول .ج. 1 .

11 – عبد الملك مرتاض –في نظرية الرواية . عالم المعرفة الكويت -1998 .

12- د .صالح مفقودة * المرأة في الرواية الجزائرية –دار الشروق للطباعة و النشر - ج بسكرة .ط. 2 / 2009

13 – سالم المعوش * صورة الغرب في الرواية العربية * مؤسسة الرحاب الحديثة بيروت .ط. 1/ 1991.

14– عبد الله الركيبي " تطور النثر الجزائري الحديث *دار الكتاب العربي * تونس .ط2009 .

15 –إدريس بوديبة "الرواية و البنية في روايات الطاهر وطار "

16 –الشريف حبيلة " الرواية والعنف –عالم الكتب الحديث – أربد الأردن .ط. 1/ 2010

17 – بوشوشة بن جمعة "التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية –المطبعة المغربية - تونس .ط. 1.

18 – محمد معتصم – المتخيل المختلف *دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة ط 2014/1

19 – عمار بن زايد * النقد الأدبي الجزائري *المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر .ط. 1990

20- محمد مصباح شفيق *الجزائريين ركوض و نهوض * منشورات الإختلاف .ط . 2013/1

3-3 المجلات .

01 - ربوح حليمة السعدية و د .ناهلية مسعود المتخيل السردي وآفاق الكتابة الروائية التاريخية بين الواقع و الكتابة مجلة المحترف المجلد 11 العدد 04 ط / 2024 ص 274.

02- أحلام معمري "نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية "مجلة الأثر ج . ق مرباح ورقلة 2014 .

03 - د .سحنين علي *ظاهرة العنف في رواية الألسنة الزرقاء لسالمي ناصر * مجلة دراسات معاصرة المجلد 06 العدد 02 - 2022 .

04 – د.كرايس و د.بوزيدي *العمل السياسي في المتخيل الديني السلفي .قراءة سوسيولوجية لإعادة إنتاج الماضي لفهم الحاضر . مجلة آفاق فكرية المجلد 11 العدد 01 .

05 - رشيد بلعيفة * سياق الإرهاب و دافعية الكتابة *مقال منشور في كتاب الأدب الجزائري بين خطاب الأزمة ووعي الكتابة / أعمال الملتقي الوطني الثامن الواد.

06- إبراهيم عبد النور * الممارسة النقدية في الرواية الجزائرية بين الذاتية و الموضوعية قراءة في نماذج * أعمال الملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقة الخامس عشر للرواية .

4 – الفـــــهرس

العنوان..... **الصفحة**

المقدمة.....أ- ب

المدخل..... **مصطلحات و مفاهيم**

1 - مفهوم المتخيل.....03

أ - المتخيل لغة 04

ب - المتخيل اصطلاحا.....05-04

2 – مفهوم العنف.....06

أ - العنف لغة 06

ب – العنف اصطلاحا 07

3 – الرواية

أ - الرواية لغة 08

ب – الرواية اصطلاحا.....09-08

4 – الرواية الجزائرية.....14-10

الفصل الأول.....**متخيل العنف في الرواية الجزائرية**

1 – متخيل العنف في الرواية الجزائرية.....15

2 – الرواية الجزائرية و الأزمة 18

3 - صور العنف في الرواية الجزائرية.....21

3 – أ – صورة المتطرف.....21

3 – ب المتطرف السياسي.....22

3 – ج المرأ ة و العنف 24

4 - صورة الإرهابي في الرواية الجزائرية.....25

الفصل الثاني.....متخيل العنف في نخلة الوجع

1 – دلالات العنوان 28

أ – النخلة 28

ب – الوجع.....29

ج – علاقة النخلة بالوجع.....29

2 – متخيل العنف في نخلة الوجع.....30

2 -1- المتخيل الديني.....30

2- 2- المتخيل و الوقع.....34

2 -3 – المتخيل و الفضاء 37

2 -4 – المتخيل و الموضوعات.....40

2 -4 أ – الهوية و الإنتماء.....41

2 -4 ب –العنف و الإرهاب.....42

2-4 ج - الذاكرة و النسيان 43-42

الخاتمة.....45-44

الملاحـق

أ - التعريف بالكاتب.....46

ب – ملخص الرواية.....48-47

ج – المصادر و المراجع.....51-49

د – الفهرس.....54-52